www.rewity.com

كانت إيفا الصغيرة الرائعة الجمال وحدها في باريس بعد أن توفي أبوها الرجل المرموق السير ريتشارد هيلينغتون في منزل ليونايد ليبلان، إحدى أشهر فنانات باريس.

لقد ضاع زر ياقته الثمين، فذهبت إيفا لزيارة السيدة ليبلان لتسأل إن كانوا عثروا عليه، وأثناء وجودها هناك زارها اللورد تشارلس كريغ يعرض عليها مشكلة من نوع آخر تماماً.

وتجد مدام ليبلان حلاً ذكياً غير عادي لورطتيهما، كان السبب في حصول إيفا على حب لم تكن تتوقعه قط.

www.rewity.com

# الفصل الأول

## ١٨٦٩

www.rewity.com

أجالت إيفا نظراتها في أنحاء الغرفة التي كانت تجلس فيها، وقد انتابها شعور بالعجز.

كانت غرفة بالغة الجمال، قد أثثت بمقاعد مذهبة وإتقان لا يستطيع تصميمه سوى الفرنسيون.

كما كانت السجادات التي تكسو الأرض من الأوبيسون.

أما اللوحات المعلقة على الجدران، فقد كانت فرنسية جميلة جداً رغم أنها لم تكن من صنع فنانين مشهورين.

لقد هتفت إيفا عندما رأت المنزل لأول مرة، هتفت تقول مخاطبة أباها:

«إنه أشبه بمنزل بديع للدمى. آه، يا أبي، كم نحن محظوظون.»

فأجاب السير هيلينغتون: «إننا كذلك حقاً.»

ولم يكن يفكر في المنزل فقط، وإنما كذلك في أنه قد أصبح في باريس مرة أخرى.

لقد أحب باريس أكثر مما أحب أي عاصمة أخرى في العالم.

ولشد ما تملكته البهجة عندما علم منذ ستة أشهر بأن زوجته ورثت منزلاً في باريس وذلك عن أمها الكونتيس دي شابريللين.

ولكن، حدث لسوء الحظ أن أصيبت زوجته بعدوى مرضية سرعان ما أودت بحياتها.

وكان ظن زوجها على الدوام، أن ذلك حدث بسبب ذهابهما إلى جبال الألب.

لقد كان اشترى لها معطفاً من الفرو ليدفئها، ولكن رياح القمم الثلجية الباردة أثرت على رئتيها.

وكان موتها بعد أن علمت بوراثتها لهذا البيت بأربعة أشهر. وقد قيل لها بأن صحتها لا تسمح لها بعبور القنال لرؤيته.

كان السير ريتشارد هيلينفتون متيماً بزوجته. وكان قد ضحى بالترقية التي كانت تنتظره في السلك الدبلوماسي وذلك لكي يتزوجها. ذلك لأنهما، في الواقع، كانا قد هربا معاً.

وكان قد التقاها في باريس، فكانت في نظره أجمل فتاة رآها في حياته.

لقد كانت خطبت عندما كانت صغيرة، كما كانت العادة في العائلات الفرنسية العريقة. وكان خطيبها يكبرها بقليل ومن نفس طبقتها الارستقراطية.

وكان موعد الزواج قد رتب، وقد ابتدأت الهدايا تصل فعلاً.

وإذا بليزيت دي شابريللين تهرب مع ريتشارد هيلينفتون.



وكان هذا شيئاً، كما يقول الفرنسيون يمكن حدوثه في انكلترا وليس في فرنسا.

وكان رأي والدي ليزيت أن ما قامت به ابنتهما هو عمل فاضح معيب.

كيف أمكنها أن تترك فرنسياً نبيلاً هي مخطوبة له؟ كما أن مركز الرجل الانكليزي الذي فضلته عليه لم يكن يعجبهما.

وقاطعت ليزيت أسرتها سنوات عديدة.

إلى أن توفي حموها، وورث زوجها عنه اللقب ليصبح البارون الخامس، عند ذلك فقط، عادت العلاقات بين آل هيلينفتون وآل شابريللين إنما بشكل بارد متقطع.

ولكن لم توجه إليهم دعوة لزيارة فرنسا.

وكانت ليزيت تشعر بالشوق أحياناً لرؤية أسرتها.

ولكنها، في الواقع، كانت راضية مكتفية بزوجها المتيمة به حباً، وابنتها التي تدانيها جمالاً.

وكانت إيفا قد ورثت عن أمها قوامها وعينيها الواسعتين المعبرتين، وعن أبيها لون شعره الاشقر، ما كان يشكل مزيجاً غريباً.

وكان السير ريتشارد يعلم أن ابنته، عندما يحتفل بتقديمها إلى المجتمع، حسب التقاليد، ستصبح ملكة جمال بين ليلة وضحاها.

وكان موعد ذلك عند بداية السنة، ولكن إيفا كانت، في ذلك الحين، غارقة في الحداد على أمها.

والأسوأ من ذلك أن أباها اكتشف فجأة أنهم في غاية من الفقر.

وكان قد تخلى عن وظيفته الدبلوماسية، وذلك عقب وفاة والده، والتي لم يصل فيها إلى مركز سفير.

وكان عليه أن يواجه متاعب امتلاك مثل هذا المنزل المكلّف لاتساعه، والأملاك التي كانت تتطلب مبالغ ضخمة للانفاق عليها.

لقد كان يظن على الدوام أن والده على شيء من الغنى المعقول.

ولكن المزارع، والتي كانت مؤجرة، كانت حالتها قد تدهورت على مرّ السنين.

ويبدو أن السير تيرينس، والده، لم يكن رجل إدارة ناجحاً.

كما أنه لم يكن ذا دراية بالشؤون المالية فقد كان استثمر أمواله في شركات لم تلبث أن أفلست، وأقرض أصدقاءه أموالاً نسوا أن يعيدوها إليه.

وحاول السير ريتشارد إنقاذ بيته الذي يعود تاريخه في عائلته إلى مائتي سنة.

ولكن ذلك كان صعباً جداً.

وأخيراً، عندما ماتت زوجته، أدرك أن ليس هناك ما يمكنه عمله سوى أن يبيع هذا البيت والقائم في غلوسستر شاير، ومن ثم ينتقل مع ابنته إيفا إلى باريس.

فهناك سيعيشان، على الأقل، تحت سقف لا يتسرب منه الماء فوق رأسيهما.

وسرّت إيفا إذ كان معنى هذا أن أباها سعيد. فقد كان من الحزن والتعاسة بعد موت زوجته بحيث ظنت أنه



لن يعرف الابتسام بعدها أبداً، كما أدركت أنه لن يستطيع العيش في البراري دون جياد جيدة.

كما أنه لن يتمكن من الانفاق على خدم يديرون منزله الواسع.

وكذلك لن يكون بامكانه الانفاق على استضافة أصدقائه وإكرامهم.

قالت: «سنذهب إلى باريس، يا أبي، فانا واثقة من أن المعيشة هناك أرخص منها هنا.»

لقد ساورت السيد ريتشارد الشكوك في ذلك ولكنه، في نفس الوقت، كان يتملكه القنوط من حالة أملاكه.

كما أنها لم تكن بالمكان المناسب لابنته، فهو يعلم جيداً كم هي جميلة.

وكان يمضي الليالي مفكراً في الطريقة المناسبة لتقديمها إلى المجتمع.

فبهذا وحده يمكنها أن تتعرف إلى الشخص المناسب الذي يمكنها الزواج منه.

لم يكن ينوي مطلقاً أن يرغمها على زواج لا تريده، فقد كان يريد لها أن تسعد كما سعد هو مع أمها، إنما دون فضيحة.

لم يحدث قط أن ندم على ما كلّفه الزواج من ليزيت شابريللين ذلك أنه كان في منتهى السعادة معها. ولكنه كان يعلم، على كال حال، بانه لو لم يتسبب في هذه الفضيحة لكان أصبح سفيراً.

لقد شجب الفرنسيون تصرفه ذاك بمنتهى العنف. ولولا ذلك لكان تبوّأ منصباً إجتماعياً أهم كثيراً مما يتبوّأه الآن.

رغم هذا ليس هناك من يتملكه الشك بماضي أسرة ميلينغتون العريق.

ولكنه كان يفكر، بشيء من السخرية، في أنهم قد يجدون تقديراً في فرنسا أكثر مما يجدونه في انكلترا.

كانت إيفا ما زالت تعاني من الصدمة التي أصابتها لموت أمها.

كما كانا قد فرغا من التخلص من المنزل الكبير في غلوسستر شاير وبقية ما يملكانه.

عند ذلك تملكهما، هي وأباها، نفس شعور تلميذين على أهبة القيام بمغامرة.

ولم تكن إيفا قد سافرت قط إلى باريس. ولكن أباها كان قد ذهب إلى هناك، بعد زواجه، مرة أو مرتين وهو في طريقه إلى عواصم أوروبية أخرى.

ولم تكن زوجته تصحبه. ولكنها طالما حدثت ابنتها عن وطنها ذاك، جاعلة باريس تبدو وكأنها مدينة خرافية رائعة.

وصلت إيفا مع والدها ذات مساء في ساعة متأخرة. وبعد أن تفحصا ذلك المنزل الصغير القائم في شارع أونور، شعرت بأن أمها لا بد أنها هي التي قادتهما إلى هناك.

كان المنزل، والذي كان ملكاً لجدتها من وراء أسرة والدها وليس أسرة شابريللين، كان صغيراً ولكنه ممتاز.

وكان قائماً بين منزلين أكبر منه بكثير.

وظنت إيفا أنه ليس سوى حلم سرعان ما ستستيقظ منه لتراه وقد تبدد كغيره من الأحلام.



كانت الكونتيس قد زينت كل غرفة وكأنها جوهرة رائعة.

وكان كل ما فيه يبدو وكأنه صمم وصنع خصيصاً ليلائم المكان الذي وضع فيه.

وكانت غرف النوم، بأسرتها المسقوفة ذات الكلل والملاءات المصنوعة من الحرير والموسلين، كانت تلك الغرف، في نظر إيفا، تليق بالملوك.

وكان أبوها قد قال لها: «والآن، يا عزيزتي، سنستمتع معاً بالحياة في أكثر مدن العالم مدنية وجمالاً.»

ثم أخذها لتناول العشاء في مطعم انكليزي الذي كان، كما أخبرها، أجمل مكان في باريس، والذي كان يرده كل شخص ذي أهمية.

كان المكان مزدحماً، وقد تذكر كثير من الذين كانوا يتناولون العشاء، أباها.

ومنذ تلك اللحظة، لاحظت وكأنما انصرف عنها، وساورها شعور بأنها فقدته.

لقد رتب أمر قيامهما بنزهة في منتزه الغابة على ظهور الخيل، ثم أخذها لرؤية واحد أو اثنين من معالم باريس المعروفة.

ولكنه، بعد ذلك، كان كل مساء تقريباً يقول لها: «هل تسامحينني، يا عزيزتي، إذا أنا تناولت عشائي هذه الليلة، في الخارج وتركتك بمفردك؟»

«طبعاً يا أبي، ولكن لماذا لا يمكنني الذهاب معك؟»

وكان الجواب أحياناً أن حفلة العشاء هي للرجال فقط. ولكن غالباً ما كان جواب أبيها أكثر تهرباً، فكان يقول:

«إنها حفلة ما كانت أمك، لو كانت موجودة لتسمح لك بحضورها.»

فتسأله: «ولِمَ لا، يا أبي؟»

«لأن السيدات اللاتي سيحضرنها، واعترف بأنهن جميلات جداً، هن غير مقبولات من جدتك الكونتيس أو من أفراد أسرة هيلينغتون.»

ولم يكن يذكر شيئاً عن الأصدقاء الذين كان يذهب إليهم بمفرده.

وكان من الطبيعي أن تشعر إيفا بالفضول نحوهن وفكرت بأنهن ربما من النساء اللواتي كانت تراهن يجلسن في عرباتهن في الغابة.

لقد كان مظهرهن رائعاً فعلاً.

ولكن ملابسهن وعرباتهن كانت تبدو أكثر ملاءمة للمسرح منها للحياة اليومية العادية.

وإذا بالكارثة تحدث منذ أسبوع.

كارثة كانت من الفظاعة بحيث لم تصدق إيفا، حتى الآن، بأنها حدثت حقيقة.

لقد كان أبوها قد جلس معها، أثناء تناولها عشاءها في السابعة والنصف، يتحدث معها. ولكنه كان قد أخبرها، قبل ذلك، بأنه سيتعشى فيما بعد مع بعض الأصدقاء الغامضين الذين لم يكن مسموحاً لها بالتعرف إليهم.

وأثناء جلوسه معها في غرفة الطعام الرائعة الجمال، كان يبدو لها بالغ الأناقة، وكان هذا شأنه على الدوام.

فهو الآن، رغم أنه كان يقترب من الخمسين، كان ما يزال



فائق الوسامة، تلك الوسامة التي زادتها شعيرات بيضاء ظهرت في سالفيه.

وكان ما يزال يحتفظ بقامته الخفيفة الرياضية التي زادتها ملابس المساء أناقة وجمالاً، ورأت في ياقة جاكتته زراً مرصعاً بلؤلؤة يحيط بها عدة أحجار من الياقوت الأزرق.

وكانت أمها قد قدمت إليه هذا الزر منذ ثلاث سنوات، هدية في مناسبة ذكرى مولده.

لقد كانت اللايدي هيلينغتون قد اقتصرت في نفقات البيت طوال السنة لكي تشتريها له.

وقد سرت هذه الهدية السير ريتشارد ليس فقط لأنها حلية جميلة يضعها على صدره، ولكن لأنها برهان على حب زوجته الثابت الذي لم يتغير.

لقد تذكرت إيفا، بكل وضوح، كيف فتح أبوها هديته، ثم أخذ يحدّق فيها غير مصدق.

قال حينها لزوجته: «اشكرك كثيراً، يا حبيبتي. ولكن كيف تقدمين إليّ شيئاً رائعاً ساراً مثل هذا، بينما لا أستطيع أن أقدم إليك مقابله سوى الشكر؟»

وأدركت إيفا أنها قد أصبحت منسية، فتركتهما وحدهما وانسلت بهدوء خارجة من الغرفة.

والآن، وهي تنتهي عشاءها واضعة من يديها الشوكة والسكين، قالت له: «إنك تبدو بالغ الأناقة، يا أبي.»

فأجاب: «يسرني أن أسمع منك هذا، لأنني سأدخل حلبة المنافسة.»

فسألته: «حلبة المنافسة؟»

قال وقد لوى شفتيه: «إن السيدة التي ستتناول العشاء معي، قد سبق وتلقت دزينة من الدعوات الأخرى.»

كان يتكلم وقد تألقت عيناه. فظنت إيفا ابتهاجه هذا لهزيمته لبقية المنافسين مهما كانوا.

وعندما تركها أبوها، تناولت الكتاب الذي كانت تقرأه، ثم ذهبت إلى فراشها حيث أخذت في القراءة حتى منتصف الليل، ومن ثم استغرقت في النوم.

ولكن الخادم الفرنسي الذي يعمل لديهم هو وزوجته، ما لبث أن أيقظها قائلاً:

«إستيقظي، يا آنسة، إستيقظي.»

فاستيقظت إيفا مجفلة وسألته: «ماذا هناك؟»

«إنه السيد قد أعادوه يا آنسة مريضاً. إنه شديد المرض.»

قفزت إيفا من فراشها ووضعت عليها معطفها المنزلي، ثم هبطت السلم بسرعة لتجد أباها وقد أحضره اثنان من الحوذية. وكانا واقفين في غرفة الجلوس ينظران إليه حيث كان ممدداً على الأريكة.

اندفعت إيفا إلى جانبه. كان يبدو وكأنه نائم.

ولكن، في نفس الوقت، كان هناك شيء ما في شحوب وجهه وبرودة يده.

وعندما لمستها تملكها الرعب.

وأرسلت الحوذيّ بطلب الطبيب.

وعندما جاء هذا، كانت قد أدركت، حتى قبل أن يثبت لها ذلك، أن أباها قد مات. وكان موته من جراء نوبة قلبية حادة.



وشعرت لهذا بألم هائل، فهي لم يسبق أن علمت قط أنه يعاني من أية أعراض مرضية في قلبه.

فقد كان يبدو دوماً قوياً، معافى، وكما قال مرة: «إنني لا أشكو من ألم في أي مكان في جسدي، مطلقاً.»

وبعد ذلك بيومين، كان قد دفن في مقبرة السفارة البريطانية.

لقد قال السفير البريطاني، بعد انتهاء مراسيم الجنازة، لإيفا حينذاك: «أظنك، يا عزيزتي، تريدين العودة إلى انكلترا، وطبعاً سأساعدك في ذلك قدر استطاعتي.»

فقالت: «شكراً لمساعدتك.»

فقال: «حسناً، إنك تعلمين أين تجدينني. وأنا أنتظر سماع أخبارك.»

عادت إلى البيت وحدها. وفكرت يائسة، بأن ليس هناك، عدا عن السفير الذي لم تكن تعرفه من قبل، من يمكن أن تلجأ إليه لتستشيره.

كانت وحيدة.

ورأت أن الحق مع السفير في قوله إن الأفضل لها أن تعود إلى انكلترا حيث هناك عدد من أقرباء أبيها سيقدمون إليها المأوى والرعاية.

ولكن ذلك سيكون منهم أقرب إلى الشعور بالواجب منه بالرغبة الحقيقية في ذلك.

لقد كانت وهي مع أقربائها أولئك، يساورها شعور بأنهم يستغربون من أبيها حبه البالغ ذاك، لأمها.

فمع كونهم لطفاء جداً، إلا أنهم لم يكونوا يشعرون بالمودة نحو الغرباء.

كما كانت أمها تراهم بلداء زريي الملابس، فكانت دوماً تقول لابنتها الصغيرة: «ليس للإنكليز مرح الفرنسيين. إنهم يجعلون الجوّ حولهم باهتاً خامداً، حتى أن النور يقل بريقه عندما يأتون لزيارتي.»

وقد سألتها إيفا مرة: «لمَ ذلك، يا أمي؟»

فأجابت الأم ضاحكة: «لأن الانكليز في منتهى الجد، يا صغيرتي. فهم يهتمون كثيراً بالخطأ الذي يصدر عن الآخرين أكثر منهم بالصواب.»

ولكن إيفا، بعد أن فكرت طويلاً في قول أمها ذاك، مالت إلى التصديق بصحته.

فقد كان أقرباء أبيها يبدأون كلامهم دوماً بقولهم: «أخشى أن يحزنك ما سأقوله... أو أظن أن عليك أن تدركي...»

وكانوا غالباً ما يبدأون بقولهم: «إن ذلك ليس من شأني طبعاً، ولكن...»

ومرة قالت إيفا لأمها: «إنني مسرورة لأنني نصف فرنسية، يا أمي.»

فضحكت أمها، عند ذاك، وقبلتها وهي تجيب قائلة: «وكذلك أنا. ولكنك ابنة أبيك، كذلك، ولحسن الحظ أن الابتسامة لا تغادر شفتيه.»

ورأت إيفا أن ذلك صحيح. لأن أباها، حين كانت تقلّ النقود بين يديه، كان يضحك قائلاً: «سوف تتحسن الأمور.» وكانت هي أيضاً تضحك.

وعندما رأى المنزل الصغير البديع في باريس، هتف قائلاً: «لشدّ ما نحن محظوظان لامتلاك شيء جميل كهذا؟ إن



هذا يجعلني أشعر وكأن أمك معنا. فهذه هي طبيعتها الخيّرة.»

إن إيفا تدرك بالضبط الآن، ما كان يعنيه بذلك وهي تنظر إلى غرفة الاستقبال الصغيرة.

حدثت نفسها قائلة، إنني هنا في باريس مع أمي، فلماذا أعود إلى انكلترا؟ لماذا يجب أن أعيش مع أقرباء أبي في أحد تلك المنازل الكئيبة حيث الأثاث داكن اللون والستائر تحجب أشعة الشمس؟

وسارت في أنحاء الغرفة تتفرج على الصور، وكراسي من طراز لويس الرابع عشر، إلى خزانة صغيرة رائعة الجمال ذات مقابض وقوائم مذهبة.

فكرت في أن بإمكانها أن تبيع بعض هذا الأثاث، ولكن الأفضل لها أن تعمل وتحتفظ به كما هو.

فإن تنقل صورة واحدة أو كرسياً إلى غرفة أخرى، يجعلها تشعر وكأنها ارتكبت إثماً. ولكنها كانت تعلم أن المبلغ الصغير الذي كان أبوها قد حوّله بالمصرف من انكلترا، لن يدوم طويلاً وعند ذلك لن يكون لديها ما تدفعه أجراً للخادمين. وبجانب ذلك، كانت هناك مسألة الطعام. وساءلت نفسها، ماذا أستطيع أن أفعل؟ عند ذلك تذكرت شيئاً لم تفكر فيه منذ وفاة والدها.

لقد كان أخذ إلى الطابق العلوي وخلعت عنه ثيابه، وذلك قبل مجيء الطبيب.

عند ذلك لاحظ هنري الخادم أن زر ياقة السترة المرصع باللؤلؤة والياقوت، والذي كان هدية أمها إليه. ذلك الزر كان مفقوداً.

وكانت إيفا قد فكرت في أنه لا بد سقط منه عندما انتابته الأزمة القلبية.

فسألت هنري إن كان يعرف من كان يتناول العشاء مع والدها في ذاك اليوم.

لقد تذكرت طريقته في الجواب حينذاك، إذ قال لها كارهاً: «لقد كانت السيدة ليونايد ليبلان يا آنسة.»

ولم تعد إيفا إلى التفكير في هذا الأمر في غمرة حزنها وهي ترى إجراءات الجنازة والدفن. ولكنها الآن صممت على القيام بزيارة إلى السيدة ليبلان لتسألها عما إذا كانت عثرت على زر والدها الثمين.

إنها، بذلك، تقوم بعمل ما، إذ من الخطأ أن تمكث في المنزل محاولة أن تمنع نفسها من البكاء.

وضعت فوق رأسها قبعة الحداد السوداء، التي كانت اشترتها من باريس، وكانت ملائمة جداً، ثم وضعت على كتفيها شالاً حريرياً كان هو كل ما تحتاج إليه نظراً لدفء الجو.

كان الشال يظهر، بسواده، لون بشرتها البيضاء الناصعة رغم أنها لم تكن تلقي بالاً إلى ذلك.

كما كان يظهر لون شعرها الذهبي الذي ورثته عن أبيها.

وعندما هبطت إلى الردهة وجدت هنري، والذي كان رجلاً متوسط السن، واقفاً هناك.

كان هو وزوجته التي كانت تكبره بقليل، يقومان بإدارة المنزل بأكمله.

سألها: «هل أنت خارجة، يا آنسة؟»



«نعم يا هنري. وأريدك أن تعلمني بعنوان السيدة ليونايد ليبلان.»

فنظر إليها ذاهلاً قبل أن يجيب: «لماذا تريدين معرفة ذلك، يا آنسة.»

«أريد أن أزورها لأسألها إن كان زر والدي المرصع قد سقط في منزلها، إنني واثقة من انه سقط عندما انهار أبي.»

فبان القلق على وجه هنري، وقال: «سأقوم أنا بذلك لأجلك، يا آنسة.»

أجابت: «لا ضرورة لذلك، يا هنري. أعطني العنوان فقط.»

سكت هنري يبحث عن الكلمة المناسبة، فقالت: «ولكنني أريد أن أذهب وأظن أن السيدة والتي كانت صديقة لأبي، تريد رؤيتي.»

ثم فتحت الباب بنفسها، وقبل أن يتمكن من قول المزيد، كانت قد خرجت إلى الشارع.

ولو كانت نظرت إلى خلفها، لرأته ما زال واقفاً ينظر إليها وفي عينيه إمارات القلق.

وكانت قد سبق ودرست خريطة الناحية التي يقيمان فيها في باريس، وأدركت أن شارع دوفيمون غير بعيد.

كان النهار مشمساً شعرت معه بالانتعاش بعد ذلك الحزن والتعاسة اللذين تملكاها عقب وفاة والدها.

وأثناء سيرها، لم تنتبه إلى أن كل رجل مرّ بها كان يستدير ليلقي عليها نظرة أخرى. كلا، ولا إلى

www.rewity.com

إمارات الإعجاب في أعينهم، ليس هناك رجل فرنسي يمكنه مقاومة النظر إلى امرأة جميلة، وإيفا كانت جميلة جداً.

وصلت إلى الشارع الذي تقصد حيث أخبرها رجل شرطة عن مكان البيت الذي تطلب.

وأمسكت بمطرقة الباب اللامعة المزخرفة، ثم قرعت الباب الذي فتحه على الفور خادم يرتدي بزة جميلة.

سألته إيفا بلغة فرنسية صحيحة: «هل من الممكن لي أن أقابل السيدة ليونايد ليبلان؟»

فأجاب الخادم: «سأسأل السيدة. ما هو اسم حضرتك لأخبرها به؟»

«أنا آنسة إيفا هيلينغتون ابنة السيد ريتشارد هيلينغتون الراحل.»

قاد الخادم إيفا إلى غرفة تقع بجانب قاعة فخمة الأثاث.

كان الأثاث فخماً مترفاً، ولكن أكثر من اللازم، وكانت الغرفة مزدحمة نوعاً ما، ولكن الذي زاد من دهشتها كانت الأزهار.

فقد كان هناك سلال كبيرة وزهريات وأوان كلها مليئة منها وموضوعة في كل مكان.

ورأت أنها جميعاً من أغلى أنواع الزهور.

فهناك الأوركيد والزنابق والكارنيشين والبنفسج والتي لابد أنها منقولة من مختلف أنحاء فرنسا في مثل هذا الوقت من السنة.



وعاد الخادم ليقول لها: «إن السيدة ستقابلك يا آنسة. تفضلي معي إلى الطابق العلوي.»

فتبعته إيفا إلى حيث فتح باباً دخلت منه.

ودهشت وهي تجد نفسها في غرفة النوم والسيدة ليبلان في فراشها.

كانت غرفة نوم لم تشاهد إيفا قبلها من قبل. فعدا عن السرير الذي أحيط بستائر حريرية زرقاء، فقد كانت الغرفة مليئة بالزهور.

كانت هناك أزهار على الموائد، وفي زهريات ضخمة على الأرض.

وكانت ليونايد ليبلان أصغر كثيراً مما كانت إيفا تتوقع.

لم تكن رائعة الجمال؛ حتى ولا حلوة.

ولكنها كانت تتمتع بجاذبية خلابة، ما يجعل من الصعوبة البالغة أن ينساها أحد رآها مرة.

مدت إليها يدها التي يزينها عدد من الخواتم الثمينة، وهي تقول: «لشدّ ما أنا آسفة لما حدث لأبيك. لا بد أنها كانت صدمة بالغة لك.»

فأجابت إيفا: «لقد كانت كذلك.»

فتابعت ليونايد ليبلان تقول: «لقد كان رجلاً رائعاً. وكان من الصعب على أيّ شخص أن يرفض له طلباً.»

«لقد كنت أعلم أنه في ليلة وفاته، كان مسروراً بأنه سيتناول العشاء معك.»

فقالت السيدة ليبلان: «لم يكن قط من قبل كما كان في تلك الليلة من المرح والحيوية تفضلي بالجلوس.»

وأشارت إلى كرسي بجانب السرير، وعندما جلست إيفا، عادت هي تقول: «إنك جميلة جداً. وهذا ما هو متوقع من ابنة رجل كأبيك.»

فقالت إيفا: «أشكرك. ولكن الحياة... لن تعود كما كانت... من دونه.»

فأجابت المرأة: «أعلم هذا. ولكن عليك أن تكوني شجاعة. ما الذي ستفعلينه بالنسبة إلى حياتك؟»

فأجابت الفتاة: «ربما هذا... أمر يمكنني أن أطلب منك المساعدة... فيه.»

«تطلبين مني؟»

لقد بدا أن هذه الفكرة أذهلت ليونايد ليبلان فقالت إيفا: «إن ما جئت لأجله في الحقيقة، يا سيدتي، هو لأسألك عما إذا كنت عثرت على زر ياقة سترة أبي. إنه مرصع باللؤلؤ يحيط به الياقوت، وهو هدية من أمي إليه.»

فهتفت المرأة قائلة: «إذن، فذلك الزر هو لأبيك. لقد كنت أتساءل عمن يكون صاحبه. لقد عثرت عليه تحت مائدة الطعام. سأعيد إليك الزر. ولكنني أريد أن أعلم عما كنت تعنينه عندما قلت إنك تطلبين مني مساعدتك.»

وبدا في صوتها من المودة ما جعل إيفا تنحني إلى الأمام قائلة: «لا أدري إذا كان أبي قد أخبرك بأنني ورثت منزلاً صغيراً في شارع سانت أونوريه، وهو من الجمال بحيث لا أحتمل أن أتركه وأعود إلى انكلترا كما نصحني السفير.»

فسألتها السيدة: «أتريدين البقاء في باريس؟»



فأجابت إيفا: «إنني نصف فرنسية. وأنا أعلم أنني ساكون هنا أسعد مني مع أقارب أبي في انكلترا.»

فابتسمت السيدة ليبلان وكأنها توافقها على هذا الرأي، بينما تابعت إيفا تقول: «لقد كنت أتساءل عما يمكنني أن أفعل، وربما تستطيعين ان تنصحيني. فإذا تمكنت من العثور على وظيفة ربما معلمة أولاد أو أي شيء آخر، يمكنني عند ذلك البقاء هنا وتحصيل معيشتي.»

فحدقت السيدة ليبلان إليها، وهي تقول: «أتعنين أن أباك لم يترك لك نقوداً؟»

فأجابت الفتاة: «القليل جداً وهو لن يدوم طويلاً.»

فقالت السيدة ليبلان: «يجب أن أفكر إذن.»

كانت تنظر إليها بطريقة رأتها إيفا غريبة، وكأنها كانت تقيّمها.

فأخذت تتساءل عما إذا كان مظهرها مناسباً، أم أنه على العكس من ذلك.

لقد كانت إيفا من الذكاء بحيث كانت تدرك أنها ربما تعتبر أجمل من أن تتخذها سيدة مربية لأولادها، إذ أنها ستشعر بالغيرة منها.

عند ذلك قرع الباب.

فقالت السيدة ليبلان: «أدخل.»

كان هو الخادم الذي سبق وأدخل إيفا، وكان يمده يده بصينية ذهبية صغيرة عليها بطاقة.

قرأتها ليونايد ليبلان، ثم قالت: «رافق الآنسة هيلينغتون إلى غرفة الاستقبال، وأخبر الطاهي أن يقدم إليها الشاي

على الطريقة الانكليزية ثم أحضر اللورد تشارلس إلى جناحي.»

كانت تخاطبه بذلك بلهجة سريعة بدا معها وكأنها توجه إليه الكلام على انفراد. ثم ما لبثت أن قالت لإيفا: «إسمعي يا عزيزتي. إنني أريد متابعة حديثنا هذا لأفكر في الطريقة التي يمكنني مساعدتك فيها. ولكن لدي الآن زائراً مهماً لا يستطيع الانتظار طويلاً.»

فقالت إيفا: «إنني متفهمة لذلك. ولكنني بالطبع، يمكنني أن أذهب ثم أحضر في يوم آخر.»

فسارعت السيدة ليبلان تجيب: «كلا، كلا، هذا خطأ. إنزلي إلى غرفة الاستقبال وانتظري إلى أن أستطيع رؤيتك مرة أخرى. إنني أستقبل أحياناً زائرين من الانكليز، ولهذا يعلم الطاهي هنا بالضبط ما الذي يريدونه الساعة الرابعة.»

وضحكت، وضحكت معها إيفا.

وعادت السيدة ليبلان تقول: «إذهبي الآن، وسأحاول أن لا أتأخر عن رؤيتك.»

فاطاعت إيفا وتبعت الخادم إلى الطابق الأسفل. تجاوزا الردهة إلى غرفة أخرى هي غير تلك التي كانت فيها من قبل.

كانت أكثر اتساعاً كما كانت أيضاً مزدحمة بالأثاث، وكذلك بالأزهار.

وتذكرت إيفا أنها أثناء اجتيازها الردهة، رأت سلالاً من الأوركيد والزنابق عند عتبة الباب الأمامي لم تكن موجودة عند قدومها. وحدثت نفسها بقولها ان السيدة ليبلان لا بد



أنها ممثلة ومشهورة جداً وهذا هو السبب في كل هذه الأزهار التي تتوالى عليها.

وجلست على أريكة مخملية وهي تتمنى لو أنها كانت أكثر فضولاً وسألت أباها أن يخبرها المزيد عن صديقته هذه.

كان هناك شيء وحيد واضح، وهو أن السيدة ليبلان كانت مختلفة عن أي امرأة عرفتها من قبل.

ومع هذا، لم تستطع أن تمنع الذهول من أن يستولي عليها، وهي ترى السيدة ليبلان تستقبل زائرها المسمى اللورد تشارلس في جناحها.

# الفصل الثاني

عندما تركت إيفا الغرفة، نهضت السيدة ليبلان من سريرها واتجهت إلى منضدة الزينة.

وضعت بعض المساحيق على وجهها، ثم سوّت من مظهرها.

غادرت إلى الجناح الملاصق لغرفتها تنتظر حضور اللورد تشارلس.

كانت ليونايد قد جاءت إلى باريس مع أبيها عندما كانت في الخامسة من عمرها.

وكان هو صانع أحذية في برلي وهي قرية صغيرة في الأرياف.

وما لبث أن عزم على الانتقال مع ابنته إلى باريس.

وإذ لم تكن لديه وسائل للمواصلات، فقد ذهبا مشياً على الأقدام.

ولكن الأمطار الغزيرة التي هطلت قبل دخولهما العاصمة الفرنسية مباشرة، جعلت حذاء ليونايد غير صالح للانتعال.

وهكذا دخلت باريس حافية.

وكان أبوها الطموح يريدها أن تصبح مربية، فأرسلها إلى المدرسة.

وهناك أظهرت من الذكاء ما جعلها تفوز بعدة جوائز.

ولكن ليونايد، على كل حال، لم يكن في نيتها أن تكون سوى ممثلة.



وفي التاسعة عشرة هربت من بيتها إلى حيث وجدت لنفسها عملاً في مسرح صغير في ضواحي باريس.

ومن هناك انتقلت إلى مسرح فاريتي حيث لاقت نجاحاً كبيراً.

لم تكن فقط ذكية ظريفة حاضرة البديهة وطموحة، بل كانت أيضاً هي البهجة بنفسها. وسرعان ما كان معجبوها من أرقى طبقات باريس الذين قدّموا إليها أغلى الأثاث والقطع الفنية التي كانت مثار حسد كل من رآها.

ولم تصبح ليونايد إحدى المشهورات في باريس فقط، ولكن في بادن ـ بادن وهامبورغ أيضاً.

ونادراً ما كانت تصدر مجلة شهيرة في باريس دون ذكر لها.

وعندما أصبحت في السادسة والعشرين، كان ينظر إليها كأكثر النساء شهرة في البلاد.

وها هي ذي الآن، تفكر في إيفا.

كانت تتساءل عما بإمكانها أن تفعل لأجل ابنة السيد ميلينفتون.

فقد كانت تراه صديقاً مخلصاً، وشعرت لأنه مات في منزلها، بأنها مدينة لابنته بشيء ما.

ولكن لم يكن لديها فكرة عما يمكنها أن تفعله بالنسبة لهذه الفتاة.

وفتح الباب ودخل اللورد تشارلس.

كان أخاً للدوق أوف كينكريغ، وكان شاباً بالغ الوسامة كثير المرح والحيوية، ما جعله محبوباً أينما ذهب.

وكان يقابل ليونايد ليبلان كلما جاء إلى باريس.

لقد أعجبها لأنه كان أرستقراطياً.

وكان يساعدها كثيراً.

اندفع داخلاً إلى الجناح متجهاً إلى ليونايد وهو يقول:

«يا صديقتي، إنني في مأزق.»

«مرة أخرى؟»

«ولكن هذه المرة هي الأسوأ.»

«كيف؟»

«لأنني، يا عزيزتي المخلصة، لا أستطيع أن أجد مخرجاً إلا بمساعدتك.»

فقالت: «سأحاول إذن، يا تشارلس، رغم أنه ليس في نيتي أن أسدد ديونك.»

فأجاب: «إنها ليست ديوني، وإنما حجر الرحى حول رقبتي تمنعني من الحراك.»

فقالت وهي تعدّل من جلوسها: «والآن، هات حكايتك منذ البداية، وبهذا يمكنني فهم ما تقول.»

كانت تتكلم بالفرنسية. وكان هو يتكلم بنفس اللغة، هذا إلى لكنة انكليزية واضحة.

ولكنه كان يتكلم بطلاقة تدعو للدهشة. وابتدأ قائلاً:

«عندما كنت هنا منذ شهر، طلب مني المليونير جيرار كارلو شراء بعض الجياد له.»

فهتفت ليونايد: «لقد كنت سمعت أن كارلو قد ابتدأ بتجهيز اصطبلات لخيول السباق. وطبعاً الخيول الانكليزية تلاقي في فرنسا نجاحاً باهراً.»

فقال اللورد تشارلس: «وهذا هو السبب في طلبه مني



شراء ستة أو ثمانية جياد ممتازة. ومن أفضل تجار الخيل في انكلترا.»

«وهل فعلت ذلك؟»

«ستصل الخيول غداً.»

فسألته: «وما هو الذي يزعجك إذن؟ إنني واثقة تماماً من أنك ستتمكن من أخذ حقك من كارلو إلى آخره.»

فقال: «هذه هي نيتي. وحيث انها من أفخر الخيول فهي تشكل صفقة ممتازة مهما دفع فيها.»

فقالت باسمة: «إنني أصدقك، رغم أن كثيرين لا يفعلون ذلك.»

فتابع قائلاً: «لقد وصلت أمس كما تعلمين. فجئت لأراك. ولكنني، قبل أن أزور كارلو ذهبت إلى النادي وإذا بي أسمع آخر الشائعات.»

فقالت بشيء من التهكم: «إنني واثقة من أن ما سمعته كان مفيداً جداً.»

«لقد أخبرني أحد أصدقائي بأن كارلو قد قرر أنني مناسب جداً للزواج من ابنته الكبرى.»

فحملقت ليونايد فيه قائلة: «لا أصدق ذلك.»

فقال: «لكنني أصدقه. فطموح كارلو ليس فقط في تأسيس أفضل الإصطبلات للخيول، وإنما يريد أيضاً أن يتألق في مجتمعات لندن.»

وساد صمت قالت ليونايد بعده: «هذا شيء لا يصدّق. ولكن ماذا في نيتك أن تفعل؟»

فأجاب: «هذا ما جئت أسألك عنه.»

وفكر لحظة، ثم أضاف قائلاً: «يمكنك أن تتصوري

www.rewity.com

ما سيقوله أخي لو أنني أدخلت ابنة كارلو في الأسرة. هذا إلى أنني، كما تعلمين، ليس في نيتي الزواج من أحد.»

فسألته: «هل تظن حقاً أنك إذا رفضت الامتثال إلى رغبته، سيطلب منك إعادة الجياد إلى انكلترا؟»

«إنني واثق من أن هذا ما سيحدث. إنه يعلم بأنني غارق في الديون وهذا شيء غير جديد. وهو يعلم بأنني اشتريت هذه الجياد بالدين. وبصراحة يا ليونايد، لقد أصبحت الآن محشوراً في الزاوية دون أدنى فكرة عن كيفية الخروج منها.»

وأدركت أن اللورد تشارلس كان فعلاً، كما وصف نفسه، محشوراً في زاوية.

وكان يقول: «هيا، إن لك سمعة حسنة في أنك أذكى امرأة في فرنسا. فانقذيني يا ليونايد أرجوك. فكري في ما عليّ أن أفعله أو أقوله.»

فقالت ببطء: «إن كارلو رجل صلب. فإذا قرر أن يزوج ابنته لارستقراطي، فأنا متأكدة من أنه سيحصل على ما يريد.»

فأجاب اللورد تشارلس: «ولكن ليس مني. ما أسخفني إذا أنا تزوجت فتاة فرنسية لا ميزة لديها سوى أموال أبيها.»

فقالت: «إن المال سيغيرك.»

«ليس إذا كان الثمن هو حريتي. وبصراحة، فأنا لن ألوث شجرة عائلتي باسم كارلو.»

فقالت: «هذا شيء لا يمكنك أن تقوله له.»



«إن عليّ أن أقول له ذلك إذا ضغط عليّ، ومن ثم يتوجب عليّ إعادة الجياد إلى انكلترا.»

ونهض اللورد تشارلس وأخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وقد تملكه القلق. ثم قال:

«لقد كدت أتوسل لأتمكن من الحصول على تلك الجياد. حتى انني اشتريت واحداً من الاصطبل الملكي.»

وساد صمت قصير، عاد بعده يقول: «أرجوك، يا ليونايد. أخبريني ماذا عليّ أن أفعل، وكيف أتصرف.»

ساد الصمت مرة أخرى، صرخت ليونايد بعده قائلة: «لقد وجدتها. إن لديّ حلاً رائعاً.»

فعاد اللورد تشارلس يجلس حيث كان على الاريكة. وسألها: «ما هو؟»

«عليك أن تخبر جيرار كارلو قبل أن يخبرك هو برغبته، بأنك خاطب وستتزوج قريباً.»

فسألها: «خاطب وسأتزوج قريباً، ولكن من هي الخطيبة؟ فهو لن يصدقني إذا أنا قلت له إن لي خطيبة في انكلترا، إذا لم تكن قد أذيعت في صحيفة الجريدة.»

فقالت ببطء: «إنك ستظهر خطيبتك هنا، في باريس.»

فحملق فيها، ثم قال: «ليونايد، إنك نابغة. ولكن عليك أن تحصلي على فتاة، وعليها أن تمثل دورها جيداً. إن كارلو ليس مغفلاً.»

فأجابت: «أعلم ذلك، والذي كنت تقوله هو انها يجب أن تكون سيدة محترمة، وتتصرف بهذه الصفة.»

وإذ رأته يحملق فيها أضافت تقول: «لا بأس. إنها

ستدرك بأنها تمثل دوراً، وأنك لا تريد في الحقيقة، أن تتزوجها. ولكن عليك أن تدفع لها أجراً.»

فاندفع يقول: «سأعطيها تاجاً مرصعاً بالجواهر إذا كانت ستخرجني من هذه الورطة.»

فقالت: «ولكن حذار. إن عليك أن تحقق مكسباً من وراء ذلك.»

فضحك اللورد تشارلس: «ليونايد، لشدّ ما أنت ذكية. أخبريني بالضبط عن خطتك.»

فترددت، ولاحظ هو أنها كانت تختار كلماتها.

ابتدأت تقول: «إنني أعرف فتاة هي سيدة محترمة بكل تأكيد، ولكنها بحاجة إلى نقود تمكنها من البقاء في باريس.»

فقال: «إذا كانت جميلة، فلا أظن أنها ستجد أية صعوبة في القيام بذلك الدور.»

فقالت بحدة: «لقد سبق وأخبرتك بأنها سيدة محترمة، وإذا كنت ستعاملها كفتاة جميلة، فعليك أن تجد حلاً لمشكلتك بنفسك.»

فمد يديه قائلاً: «أنا آسف، وإني أعتذر. استمري فأنا أصغي.»

فقالت: «إنني سأعرفها عليك ولكن هناك شرط. شرط واحد فقط.»

«وما هو؟»

«هو ألاّ تحاول القيام بشيء يمس شرفها. وأن تتركها كما عرفتها بالضبط.. فتاة بالغة النقاء والبراءة.»

فحملق اللورد تشارلس فيها، ثم قال: «ومع هذا



تقدمينها إليّ؟ إسمعي يا ليونايد. إنني أحترم صداقتنا، ولكن هذا لا يعني أن أصدّق أنها صديقة لك أو أن والديها ائتمناك عليها لنصحها وإرشادها إلى الطريق القويم.»

فقالت: «هذا شأني الخاص. فهل تعدني بما طلبته منك أم لا؟»

فقال: «بل أعدك. كلمة شرف.»

«حسناً جداً. هذا ما عليك أن تفعل.»

وأخذت تفكر في برنامج العمل الذي أمامه، بينما كان هو ينتظر بصمت.

وبعد أن انتظر فترة، سألته ليونايد: «متى ستتصل بكارلو؟»

«لقد دعاني إلى تناول الغداء معه غداً، وخطتي هي أن أذهب معه بعد ذلك مباشرة إلى الاصطبل حيث تكون الجياد قد وصلت عند الصباح.»

فهتفت: «هذا حسن. إن ما عليك أن تفعله الآن هو أن تكتب إليه رسالة تخبره فيها بمقدار تشوقك إلى رؤيته وعرض ما اشتريته له.»

فتوترت شفتا اللورد تشارلس لذكر الجياد، ولكنه لم يقل شيئاً، بينما تابعت هي تقول: «ثم تضيف إلى ذلك قولك إنك ستحضر معك شخصاً تريده أن يتعرف إليه.»

فسألها: «ألا يجب أن أذكر من يكون ذلك الشخص؟»

«كلا. عليك ألاّ تذكر ما إذا كان ذكراً أم أنثى. عندما تصلان إليه تعرّفه بها على أن تطلب منه حفظ السرّ لأنك لم

تعلن الخطبة رسمياً بعد حيث أن خطيبتك، والتي هي نصف فرنسية، لم تقابل أخاك بعد.»

فقال: «يبدو لي أن هذا أجمل من أن يكون حقيقة. بقي أن أعرف ما إذا كانت جميلة أم لا.»

«إنها ستكون صالحة لإداء الدور وستقوم به وعليك أن تحفظ وعدك لي.»

فقال: «حسناً. متى سنبدأ؟»

فأجابت: «غداً يمكنك أن تأتي لأخذها الساعة الثانية عشرة ظهراً. والآن علينا أن نقرر كم ستعطيها أجراً.»

فقال: «إن ما ستحصل عليه يتوقف على ما سيمنحني إياه كارلو لأن جيوبي، حالياً مكتوب عليهم للايجار.»

فقالت: «هذا ما توقعت. وحيث أن ليس ثمة سبب يدفعه إلى عدم شراء الجياد بعد أن طلب إليك إحضارهم لأجله، فهو سيعطيك شيكاً بالمبلغ. وأظن أن فتاتي الصغيرة يجب أن تحصل على... والآن، دعني أفكر.»

فهتف: «أرجوك يا ليونايد، أتركي لي عدة فرنكات أستمتع بها. وقد أشتري لك باقة من الأوركيد، حيث أظنها تنقصك في بيتك هذا.»

وكان يقول هذا مازحاً، ولكن ليونايد لم تهتم بما يقول، فقد كانت، في الواقع، تحاول أن تحوّل في ذهنها الفرنكات إلى جنيهات.

وأخيراً قالت: «اقترح أن تمنحها مبلغ ٥٠٠ جنيهاً.»

ولما كان اللورد تشارلس خائفاً من أن تطلب منه مبلغاً أكبر، فقد سارع بقوله:



«إتفقنا. ولكن إذا لم تحسن تادية دورها، وأدرك كارلو اللعبة، فهي لن تنال شيئاً.»

فقالت ليونايد: «إتفقنا.»

• • •

وفي الطابق الأسفل، ابتدأت إيفا تظن أن السيدة ليبلان قد نسيت كل شيء عنها.

كانت قد تناولت مع الشاي فطائر حلوى كانت لذيذة إلى درجة أكلت منها اثنتين.

ثم أخذت تتفحص الصالون.

وجدت مجموعة من علب السعوط الفاخرة جعلتها تفكر في أبيها وكيف أنه كان سيعجب بها كثيراً. فقد كانت مرصعة بالماس واللؤلؤ وغير ذلك من الأحجار الكريمة.

وبعضها كان مرسوماً عليها صور ملوك فرنسا.

وكذلك كان على رف الموقد أوان صينية نادرة جداً. وكانت هناك تحف رائعة الجمال من الكوارتز الوردي واليشب، كانت هي تعلم أنها ثمينة للغاية.

وأثناء إعجابها بهذا كله، كانت لا تنفك تفكر في ما عليها أن تصنع.

كيف يمكنها أن تحصل على بعض المال؟

ربما إذا كانت السيدة ليبلان تعمل في المسرح، سيكون بإمكانها أن تجد لها دوراً صغيراً في مسرحية.

ولكنها كانت واثقة من أن أمها، لو كانت موجودة، لكانت معارضة لهذه الفكرة.

وسألت نفسها، لماذا لم أتحدث بهذا الأمر مع أبي قبل أن يموت؟

ولكنها كانت تعلم بأنها لو كانت فعلت ذلك لكان قال بطريقته المتفائلة السعيدة، بأن شيئاً ما سيتغير.

وحاولت أن تصرف عن ذهنها ما كلفتها جنازته، وأن الطعام في فرنسا أغلى ثمناً، كما يبدو، منه في انكلترا.

ولكنهم، في انكلترا، كانوا يربون الدجاج والبط في مزارعهم طبعاً.

وأثناء فصل الشتاء، كان أبوها يصطاد الطيور في الغابات.

ولكن أسعار الحاجيات في حانوت القرية لم تكن غالية الثمن كتلك التي تشتريها ماري، زوجة هنري، من المتجر.

وحدثت نفسها بقنوط كما سبق وفعلت الليلة الماضية والليلة التي قبلها، لا بد أن هناك ما يمكنني عمله.

وتساءلت عما إذا كان عليها أن تخرج إلى الردهة وتسأل عما إذا كانت السيدة ليبلان قد نسيتها فعلاً.

عند ذلك، أقبل خادم أخبرها أن بإمكانها أن تصعد إلى غرفة السيدة، مرة أخرى.

وكانت قد ابتدأت تفكر بمبلغ ثقل دم اللورد تشارلس، زائر السيدة ليبلان.

وعلى كل حال، فقد تملكها الرجاء في أن تكون السيدة قد وجدت وقتاً تفكر فيه بأمر.



دخلت الغرفة لترى، كما سبق ورأت من قبل مبلغ رقة وحنان.

لقد كانت وجنتاها تتوهجان قليلاً، كما كان ثمة لمعان في عينيها.

ولكن قد يكون ذلك من تأثير أشعة الشمس الداخلة من خلال النوافذ.

بادرتها السيدة ليبلان قائلة: «آسفة لتأخري الطويل عليك، يا عزيزتي. ولكنني أعلم بأنك ستعذرينني لذلك عندما أخبرك بأنني وجدت لك عملاً.»

فشبكت إيفا يديها: «أحقاً. كم أنت بالغة اللطف والشهامة. لقد كنت أرجو ان تجدي لي حلاً لمشاكلي.»

فابتسمت ليونايد ليبلان وقالت: «يبدو أنني تلقيت الكثير من المشاكل هذا اليوم. ولكنني حللت مشكلتك، للوقت الحالي على الأقل. والآن اجلسي ودعيني أخبرك بما عليك أن تفعلي.»

فجلست، بينما ابتدأت السيدة ليبلان تقول: «والآن، ما عليك أن تقومي به هو أن تقومي بتمثيل دور.»

فأطلقت إيفا شهقة قصيرة، وقالت: «لقد ظننت ذلك لأنك تعملين بمهنة التمثيل وأنك ممثلة ماهرة جداً جداً بحيث بإمكانك أن تجدي لي مكاناً في المسرح.»

فأجابت ليونايد بحدة: «إنها ليست على المسرح وحيث أنك ابنة السيد هيلينغتون، فأنا لن أجعلك تعملين على المسرح.»

فنظرت إليها إيفا بعينين متسعتين، ثم توهج وجهها وهي تقول: «إنني أعلم أن أمي ما كانت... لترضى...

ولكنني فكرت... بأن ذلك ربما هو... الشيء الوحيد الذي بإمكاني... القيام به.»

فقالت ليونايد: «هذا شيء ينبغي ألاّ تقومي به. وعندما قلت لك انك ستقومين بمثيل دور فهو شيء بإمكانك القيام به جيداً.»

فنظرت إليها إيفا متسائلة. فتابعت السيدة ليبلان تقول: «إن الزائر الذي كان عندي وخرج منذ فترة، كان اللورد تشارلس كريغ. وهو في وضع سيء.»

لقد سمعت إيفا الآن إسمه الكامل. ومع أنه بدا إلى سمعها مألوفاً، فهي لم تستطع أن تتذكر أن أياً من أصدقاء أبيها كان يحمل اسم كريغ.

وتابعت ليونايد ليبلان تقول: «إن اللورد تشارلس هو شاب ظريف لن يتزوج ولا يريد ذلك.»

كانت تتكلم ببطء وهي تضغط على الكلمات الأخيرة وكأنها تريدها أن تنطبع في ذهن الفتاة.

وتابعت تقول: «إنه متورط في وضع سيء دون أن يكون له ذنب في ذلك.»

فسألت إيفا: «وما هو؟»

«لا أظنك سمعت بأكثر الأغنياء نفوذاً في باريس والذي يدعى جيرار كارلو؟»

فهزت إيفا رأسها نفياً.

لقد قرر أن يبتاع خيولاً ماهرة يتباهى بها أعضاء نادي جوكي كلوب.»

فابتسمت إيفا إذ كانت تتفهم طموحه هذا. فقد كان أبوها حدثها عن ذلك النادي وأهمية أعضائه.



«لقد طلب السيد كارلو من اللورد تشارلس أن يشتري له من انكلترا عدداً من الجياد وذلك من أحسن الاصطبلات.»

وألقت ليونايد ليبلان بيديها، وقالت ضاحكة: «وإذا باللورد تشارلس يجد أمامه عقبة لم يكن ينتظرها.»

فسألتها إيفا: «عقبة؟»

«إن السيد كارلو يريد من اللورد تشارلس أن يتزوج ابنته.»

فبانت الدهشة على وجه إيفا: «ولكن... أصحيح هذا...؟»

فأجابت ليونايد ليبلان: «بالضبط. ولا يمكن بالنسبة للورد تشارلس أن يتزوج ابنة السيد كارلو مهما كان جمالها. كما أن أخاه الدوق أوف كينكريغ سيغضب منه جداً.»

فقالت إيفا: «أستطيع أن أفهم ذلك.»

وكانت، وهي تقول ذلك، تتساءل عن علاقتها هي بهذه القصة.

وتابعت ليونايد ليبلان: «هناك سبيل واحد يجعل اللورد تشارلس يحصل على المال الذي أنفقه على شراء الجياد، دون أن يجرح كرامة السيد كارلو برفضه أن يصبح صهره.»

ولم تجد إيفا مجالاً للنطق بالسؤال الذي يهتز على شفتيها لأن ليونايد ليبلان تابعت تقول بلهجة مسرحية: «وهو أن يظهر اللورد تشارلس خطيبة له.»

فهتفت إيفا: «آه، إنه خاطب إذن؟»

www.rewity.com

فأجابت ليونايد ليبلان: «لقد سبق وقلت لك أن ليس لدية نية للزواج.»

«إذن... كيف... كيف بإمكانه...؟»

«لا تكوني غبية. إن اللورد تشارلس سيظهرك بأنك خطيبته.»

«أنا؟»

«عليك أن تتظاهري بأنك خطيبته التي سيتزوجها.»

وسكتت لحظة، ثم عادت تقول: «عندما يتلقى اللورد تشارلس الشيك ثمن الجياد، والذي هو بقيمة مبلغ كبير، فإنك عند ذلك، تتوارين بكل تعقل وتحفّظ.»

فابتدأت تقول: «ولكن... أفرضي...؟»

فقاطعتها ليونايد ليبلان بحدة: «إنه أمر سهل تماماً عليك. إن عليك فقط أن تتصرفي بشكل طبيعي، ولكن اسمك طبعاً سيتغير، حتى اللورد تشارلس يجب ألا يعلم اسمك الحقيقي.»

فسألتها إيفا: «ولمَ لا؟»

«لأن هذا، يا عزيزتي، سيحرجه. وبجانب ذلك، إذا علم أحد في انكلترا بادعائك أنك مخطوبة لشاب معروف فهذا سيدمّر سمعتك وأي فرصة تسنح لك للزواج من رجل من النوع الذي يريدك أبوك، لو كان موجوداً، أن تتزوجيه.»

فقالت إيفا بشيء من الانفعال: «نعم... لقد فهمت طبعاً. ولكن... من سأكون... إذن؟»

فابتسمت ليونايد ليبلان: «الأهم من ذلك، وهو ما يجب أن تسألي عنه، هو كم سيدفع لك مقابل ذلك.»



فقالت إيفا بسرعة: «ولكن، طبعاً... يجب ألاّ أسأله عن ذلك... إن ذلك يشعرني بالحرج.»

«هذا طبيعي، ولهذا قمت أنا بذلك لأجلك إذا أنت قمت بتمثيل دورك بشكل مقنع، وتخلى السيد كارلو عن فكرته السخيفة بتزويج ابنته للورد تشارلس، فستتلقين ٥٠٠ جنيه.»

فشهقت إيفا.

لقد كانت تعلم أن معدّل أجر المربية في انكلترا هو أربعون جنيهاً في العام تقريباً.

وجعلتها الدهشة تنطق بأول شيء خطر في ذهنها: «إن هذا... كثير... جداً.»

فضحكت ليونايد ليبلان ومدت يديها الاثنتين: «إياك أن ترفضي المال، يا عزيزتي. إياك أن تقولي عن مبلغ ما إنه كبير حين يكون أجراً عن عمل قمت به. وفي هذه القضية، إقبلي شاكرة النعمة التي هبطت عليك.»

فقالت إيفا: «يجب أن أكون شاكرة لك حقاً شهامتك الفائقة هذه نحوي. إنني شاكرة لك جداً جداً.»

فأجابت ليونايد ليبلان: «لقد كنت احترم أبيك. وأنا أرد له جميله للساعات الكثيرة السعيدة التي أمضيناها معاً.»

فقالت إيفا بصوت ناعم: «إذن، فأنا واثقة من أن أبي، أينما كان، هو شاكر لك جداً.»

وساد صمت قصير.

ثم، وكأنما خافت ليونايد ليبلان من أن تصبح عاطفية، قالت: «والآن، دعينا نبدأ العمل. أظن لديك بعض الملابس

التي يراها السيد كارلو مناسبة بالنسبة لفتاة إنكليزية مخطوبة لشقيق الدوق أوف كينكريغ.»

فقالت بلهجة اعتذار: «لا أظن ملابسي... أنيقة جداً. ولكن لديّ بعض ملابس أمي بإمكاني أن ألبسها ولكنها طبعاً، ليست سوداء اللون.»

فهتفت ليونايد ليبلان برعب: «إياك أن ترتدي السواد. إن عليك أن تبدي سعيدة، ومن لا تكون سعيدة وهي ستتزوج اللورد تشارلس؟»

وفكرت لحظة، ثم عادت تقول: «سأرسل معك خادمتي إلى بيتك فتكوي ما عندك من ملابس أو ربما تضيف شريطاً أو زينة إلى ثوب قد يبدو كئيباً.»

فقالت إيفا: «هذا منتهى اللطف منك.»

«والآن، علينا أن نقرر ما سيكون اسمك.»

«اسمي إيفا.»

«هذا سيكون مناسباً حيث أن والدك فرنسي وأمك انكليزية.»

فضحكت إيفا قائلة: «العكس هو الصحيح.»

«طبعاً، ولكن عليك أن توضحي سبب وجودك في فرنسا وليس في انكلترا.»

«وماذا سيكون اسمي الفرنسي؟»

وخطر ببال إيفا أن تدعو نفسها باسم شابريللين الذي هو اسم أمها قبل الزواج.

ولكنها عادت ففكرت في أن ذلك قد يكون خطراً في حالة ما إذا كان السيد كارلو يعرف أياً من الأسرة.

وقالت ليونايد ليبلان: «ستكونين فينارد. إيفا فينارد.



إنه اسم جميل جداً. ولا تتحدثي كثيراً عن أسرتك، وبهذا لا يعلم السيد كارلو شيئاً.»

فقالت إيفا: «سيكون الأمر مربكاً فيما لو طرح عليّ أسئلة.»

«إذن، فعليك أن تظهري مهارة كافية في أن تنطلقي بالكلام بمرح عن أمور أخرى.»

فقالت إيفا: «سأحاول... سأحاول أن أقوم بكل ما تطلبينه مني.»

كانت تتكلم وقلبها يغني.

خمسمائة جنيه تعني أن بإمكانها البقاء في باريس. إنها تعيش في بيتها الصغير الرائع، وشعرت بأنها، حالياً، لم تعد تخاف المستقبل.

وكان ليونايد ليبلان تراها للمرة الأولى، قالت لها: «إنك جميلة جداً. ولهذا، قد يحسن لي أن أقدم إليك نصيحة صغيرة أرجو أن تتبعيها.»

فقالت إيفا: «ستعلمين بأنني سأفعل كل ما تريدينه. فأنا شاكرة لك جداً صنيعك معي.»

«يمكنك أن تؤجلي شكرك إلى أن تصبح الخمسمائة جنيه في يدك، ويغادر اللورد تشارلس باريس حراً.»

«إني خائفة فقط... من ارتكاب... أخطاء.»

«ولماذا هذا الخوف؟ ليس عليك إلا أن تتصرفي بشكل طبيعي. ولكن تذكري أنك فتاة انكليزية مستقيمة ومتزنة وأنك تشعرين بالحرج من المديح الزائد.»

وسكتت لحظة، ثم قالت: «وأنت تفهمين جيداً أن عليك ألاّ تسمحي لرجل أن يقترب منك.»

فهتفت إيفا بدهشة: «يقترب مني؟ أتعنين... أن عليهم ألاّ يمسكوا يدي؟»

«شيء من هذا القبيل.»

فقالت إيفا: «لا أتصوّر أحداً يريد أن يفعل ذلك إذا كان لا يعرفني جيداً.»

«كلا بالطبع. وما كانت ستسنح لهم فرصة لذلك لو أن أمك كانت معك تحرسك.»

فنظرت إليها إيفا بذعر: «أنا... أنا لم أفكر في ذلك... ومن المؤكد أن السيد كارلو واللورد تشارلس سيستغربان مكوثي في بيتي هنا وحدي دون مرافقة.»

«هذا بالطبع ما كنت سأقوله لك. إياك أن تطلعي أياً منهما على أنك تعيشين بمفردك.»

فاتسعت عينا إيفا، بينما تابعت هي تقول: «إنك على ذكاء كاف لتخبري الآخرين بأنك تسكنين مع عمتك، وأنها مريضة حالياً ولا يمكنها مغادرة فراشها لكي تستقبل الزائرين.»

وسكتت لحظة، ثم أضافت: «وكذلك أنت. ولذلك إذا طلب رجل ما أن يزورك، فقولي له بكل أدب أنك لا يمكنك استقبال أي زائر ما دامت عمتك مريضة.»

فقالت إيفا: «نعم... بالطبع... إنني متفهمة لهذا. وكان من الغباء مني أن لم أفكر بذلك من قبل.»

وكانت أثناء كلامها هذا تفكر في أن عليها أن تكون حقاً حذرة في المستقبل.

ولكنها لم تكن تتصور، على كل حال، أنها ستقابل رجالاً كثيرين ممن يلمّحون إلى رغبتهم بزيارتها.



فإذا حدث هذا، فهذا سيكون الجواب.

وعادت ليونايد ليلان تقول: «سأستدعي خادمتي جوسيه وأخبرها ما عليها أن تفعل، وكذلك أن تحضر إليك زر ياقة سترة أبيك.»

قرعت الجرس بجانبها، وبعد لحظات فتح الباب وبرزت منه خادمة ترتدي ثوباً أسود فوقه مئزر ذو حواشي من الدانتيل.

ولم تكن شابة، بل كانت امرأة في حوالي الأربعين ورأتها إيفا تنظر إليها بدهشة.

خاطبتها ليونايد ليلان قائلة: «هذه، يا جوسيه، هي ابنة السير ريتشارد هيلينغتون الذي كان قد أخذ من هنا مريضاً الأسبوع الماضي، إذا كنت تذكرين.»

فأجابت الخادمة: «نعم يا سيدتي. وقد أسفت جداً لأجله.»

«حسناً. يبدو أن زر ياقة السترة الذي كنا وجدناه، بعد ذلك، تابع له. أريدك أن تسلميه للآنسة هيلينغتون، وكذلك أريدك يا جوسيه أن تذهبي معها إلى بيتها لتلقي نظرة على ملابسها.»

وبدت الآن الدهشة واضحة على وجه الخادمة، بينما تابعت ليونايد ليلان تقول: «لقد كلفت الآنسة هيلينغتون بمهمة صغيرة تقوم بها لأجلي. ومن المهم أن تكون ملابسها حسنة أثناء القيام بهذا الأمر.»

فنظرت جوسيه بفضول إلى ما كانت إيفا ترتديه، بينما تابعت سيدتها تقول: «إنها بحاجة إلى ملابس أنيقة تليق بسيدة محترمة، وذلك لترتديها غداً أثناء دعوة للغداء. إنك

تدركين يا جوسيه أنها فتاة صغيرة ينبغي ألا تكون ملابسها مبهرجة.»

فأجابت الخادمة: «إنني أعلم تماماً ما تحتاجه الآنسة. وعندما كنت أعمل عند زوجة السفير، أمضيت في انكلترا ثلاث سنوات ورأيت كيف أن ملابس الآنسات الصغيرات هناك كئيبة مقفلة باهتة الألوان.»

كانت تتكلم بالفرنسية، وقد تكون ظنت أن إيفا لا تفقه هذه اللغة.

ولكن إيفا انفجرت ضاحكة، فقالت ليونايد ليبلان: «إن الآنسة تتكلم الفرنسية بطلاقة، يا جوسيه.»

فقالت جوسيه: «المعذرة يا آنسة. لم أقصد الاهانة بكلامي هذا.»

فقالت إيفا: «إن ما قالته صحيح. لقد كانت أمي فرنسية وكانت دائماً تقول ذلك.»

وكأنما أدركت حماقتها، فنظرت إلى ليونايد ليبلان التي قالت: «إنها زلة لسان، ولكن تذكري أن تكوني أكثر حذراً في المستقبل. لقد كانت أمك إنكليزية وأبوك فرنسياً.»

«سأتذكر.»

«والآن، أسرعي يا جوسيه وضعي قبعتك لأنني أريدك أن تعودي بسرعة لتساعديني في ارتداء ملابسي.»

«سأكون في غاية السرعة، يا سيدتي.»

وخرجت من الغرفة، بينما وقفت إيفا وهي تسألها: «كيف بإمكاني أن أشكرك؟»

«إن شكرك لي هو باتباع ما أقوله لك بالضبط. إن اللورد تشارلس هو من أصدقائي الأعزاء، وأنا أريد أن



أرضيه. وأنا أيضاً أريد أن أساعدك لأجل أبيك. هل يعجبك هذا؟»

فقالت إيفا: «يعجبني جداً.»

اقتربت من ليونايد ليبلان وقبلتها على وجنتها. فبدت الدهشة على وجه المرأة الفرنسية، ثم قالت باسمة: «إنك بالغة اللطف. وأتمنى أن تتزوجي يوماً ما، من رجل مثل أبيك لطفاً وظرفاً، وتمضي معه حياة سعيدة جداً، جداً.»

فأجابت إيفا: «وهذا ما كنت أتمناه دوماً.»

# الفصل الثالث

انجزت جوسيه، بوجه عام، كل ما يتعلق بملابس إيفا والتي كانت في غاية البساطة، كما سبق وقالت، كما يجب ان تكون بالنسبة لفتاة صغيرة.

وعلى كل حال، لكونها امرأة فرنسية، لم تستطع أن تقاوم إضافة أشياء تجعلها أحدث طرازاً، ورأت إيفا أن ذلك احدث فرقاً كبيراً. عقدة على الكتف، دانتيل حول الأكمام، وعدة وردات على حاشية التنورة، هذه الأشياء البسيطة حولت ذلك الثوب العادي جداً، إلى آخر أشبه بثوب فتاة فرنسية فتية.

وقالت لها: «اشكرك، اشكرك.»

فنظرت جوسيه إلى ساعة الحائط وهي تقول إن عليها أن تعود إلى سيدتها.

ويبدو أنها أعجبت بجمال المنزل، ولكنها نظرت حولها وقالت بصوت مربية غير راضية: «يجب الا تسكني بمفردك، يا آنسة.»

فقالت إيفا: «ولكنني سعيدة جداً رغم افتقادي أبي.»

«إنك جميلة جداً وبحاجة إلى مرافقة تحرسك.»

«لقد كنت وعدت السيدة بأن اكون في غاية الحذر، إنني سادعي بأن عمتي، والتي هي شديدة المحافظة، هي مريضة في الفراش.»



فضحكت جوسيه وهي تقول: «إنك ماهرة جداً، ولكنك مازلت صغيرة جداً.»

فقالت إيفا: «إنني ساكبر، وإذا وجدت الأمور صعبة، فساعود إلى انكلترا.»

ولم تكن واثقة تماماً مما كانت تعنيه بـ«الأمور الصعبة.»

ربما كان هذا يعني، نوعاً ما، محاولة بعض الرجال التقرب منها.

أولئك الرجال الذين حذرتها ليونايد ليبلان منهم.

وقالت تحدث نفسها: عندما أنهي ما يطلبه اللورد تشارلس مني، لن اقابل اي احد. سأذهب إلى المتحف واحاول أن أرسم صوراً للبيع.

وإذ فكرت في الأمر ملياً، رأت أن هذا أصلح شيء لتحصيل النقود.

وهذا سيحميها من التورط مع الناس.

وكانت أمها تمتدح دائماً ما كانت ترسمه بالألوان المائية، وعندما جربت مرة الرسم بالزيت، أمكنها بعد العديد من الأخطاء، أن ترسم لوحة جيدة تماماً، وكانت صورة أحد جياد أبيها.

وتساءلت عما إذا كان بإمكانها أن تدفع نفقات دروس في ذلك إذ كانت تعلم أن في باريس كثيراً من الفنانين ليعلموها.

ولكنها ما لبثت أن أدركت أن حصر اختلاطها في الفنانين والكتاب والشعراء ربما فيه خطورة، وقد يكون اكثر خطراً من الاختلاط بالمجتمع الذي كان أبوها يستمتع فيه.

وأخيراً قالت تحدث نفسها متفلسفة: ليس عليّ إلا أن أتوقع أن تتغير الأمور، حسب قول أبي.

وعلى كل حال، فقد منعتها البهجة لفكرة تحصيلها ذلك المبلغ الكبير، من أن تنام.

ولم يتغلب عليها الرقاد إلا بعد بزوغ الفجر، وكانت قد حلمت بأنها كانت تركب حصاناً سريعاً، وكان يلاصقها رجال كثيرون يمتطون الجياد هم أيضاً.

وعندما استيقظت، أخذت تضحك من هذا الحلم، وأثناء ارتدائها لملابسها، كانت تشعر بالإبتهاج وكان شيئاً مثيراً على وشك أن يحدث، ولكنها أيضاً كانت خائفة من أن تخطىء بشيء.

سرحت شعرها بعناية بالغة، ثم ارتدت الثوب الذي كانت جوسيه قد كوته، ولم تنتبه إلى أن هذا الثوب قد أظهرها صغيرة جداً وبالغة البراءة.

كان أبيض اللون واسع التنورة، وقد عقدت جوسيه على الكتف شريطة زرقاء اللون، ومثله على خصرها من الناحية المقابلة.

ووضعت على مؤخرة رأسها قبعة صغيرة مستديرة بدت كهالة حول وجهها، وقد تدلى منها على ظهرها شريطة زرقاء.

وكانت على وشك الخروج لتذهب سيراً إلى منزل السيدة ليبلان، كما فعلت أمس، عندما طرق هنري الباب ليقول لها: «لقد وصلت عربة لأجلك، يا آنسة.»

فهتفت بدهشة: «لأجلي؟» ولكنها ما لبثت أن أدركت



المرسل، فأضافت: «ما أكبر شهامة السيدة إذ تفكر بي.»

وركبت شاعرة بالزهو في هذه العربة الفخمة التي لم تر مثلها من قبل.

عند ذلك تذكرت أنه ما كان لها أن تسير في الشوارع وحدها كما فعلت أمس عندما ذهبت إلى منزل السيدة ليبلان.

وكانت أمها توصيها دوماً بأن تأخذ معها الخادمة في كل مرة تذهب فيها إلى حانوت أو حديقة عامة.

فكانت تهتف بأمها قائلة: «هذا أمر متعب، يا أمي.»

فتقول الأم: «أنا أوافقك على ذلك، ولكن ليس من المناسب لفتاة صغيرة أن تجوب الشوارع وحدها.»

وعندما جاءت مع أبيها إلى باريس، كان أبوها يرافقها دون مرافق.

ولكن هذا أوجد مشكلة بالنسبة إلى المستقبل، فماري قد أصبحت كبيرة في السن، وكان إيفا واثقة من أنها إذا خرجت إلى السوق فهي لا ترغب في الخروج مرة أخرى.

أسرعت الجياد في سيرها، ووجدت إيفا نفسها تفكر بيأس في أنها عندما تصبح وحدها، فستكون أمامها متاعب كثيرة ضخمة.

وقفت العربة أمام منزل السيدة ليبلان، ثم نزل الخادم منها ليفتح لها الباب.

ابتسم لها رئيس الخدم الذي كانت رأته أمس، وقال:

«صباح الخير يا آنسة. إن السيدة في انتظارك في غرفة نومها.»

فصعدت إيفا وطرقت الباب، فسمعت السيدة ليبلان تقول: «أدخل.»

فدخلت متوقعة أن تجدها في سريرها كحالها أمس، ولكنها كانت جالسة بكامل أناقتها، وبينما كانت جوسيه تسرح لها شعرها، كانت هي تضع على وجهها لمسات من الزينة.

أمس كانت تبدو جذابة. اما الآن فقد رأتها إيفا بالغة الأناقة والرشاقة، ما رأت إيفا معه، أن من الصعب على من يراها ألاّ يحدّق فيها مذهولاً.

لقد كان ثوبها من الزينة والبهرجة ما لا يمكن أن ترتدي مثله سيدة انكليزية.

وأكثر من ذلك، كانت تضع حول عنقها قلادة وقرطين في أذنيها وأساور من الياقوت والماس، وكان كل هذا يتألق في ضوء الشمس، ما جعل مظهرها مسرحياً وليس فاتناً فقط.

وقالت ليونايد ليبلان: «صباح الخير يا إيفا.»

واستدارت تتأمل إيفا ملياً، ثم تقول: «هذا حسن جداً. إنك تبدين كما أريدك بالضبط. وأرى أن جوسيه أضافت الطراز الفرنسي إلى كتفك وشعرك.»

فقالت إيفا: «لقد ساعدتني كثيراً وكانت في غاية اللطف.»

وأثناء حديثهما، أحضرت جوسيه من غرفة أخرى قبعة لتضعها ليونايد ليبلان، وكانت من نفس لون



ثوبها، وكانت من الجمال بحيث أخذت إيفا تحدّق إليها، فقالت السيدة ليبلان باسمة: «إنني خارجة إلى النزهة في الغابة، والعربة التي احضرتك إلى هنا ستكون مكشوفة. إنني أخرج كل يوم بمظهر جديد وخدمي ببزة جديدة.»

فهتفت إيفا: «ستبدين رائعة.»

فضحكت ليونايد ليبلان، وقالت: «والآن، ربما فهمت لماذا عليك ألاّ تقزي بمعرفتك لي وذلك بعد أن تخرجي من هنا بصحبة اللورد تشارلس.»

فسألتها إيفا: «ولكن، لماذا؟»

فأجابت السيدة ليبلان: «اعقلي، يا عزيزتي. هل يمكنك أن تتصوري أمك أو عمتك الخرافية الراقدة مريضة في الفراش، مرتدية ثوباً كهذا؟»

ولأن لهجتها كانت ضاحكة، ضحكت إيفا هي أيضاً، وهي تقول: «كلا يا سيدتي، وإذا فعلتا ذلك ستوقفان حركة السير.»

فقالت السيدة ليبلان بزهو: «وهذا ما أحاول أنا أن أقوم به. وفي الواقع، هناك عدد كبير من الناس يذهبون إلى منتزه الغابة خصيصاً لرؤية ثيابي.»

ووضعت جوسيه القبعة على رأسها، ولكن سيدتها قالت متذمرة: «لا أرى هذا الثوب بنفس أناقة الثوب الذي ارتديته قبل أمس.»

فقالت جوسيه بحزم: «هذا يعجبني اكثر، يا سيدتي.»

وبدا كل ذلك لإيفا غريباً غير واقعي، ولكنها لم تقل شيئاً، ولكنها رأت ليونايد ليبلان تهز كتفيها، وثبتت

جوسيه القبعة في شعر سيدتها بدبوس طويل مرصع بالماس.

نهضت عن الكرسي وهي مازالت تنظر إلى صورتها في المرآة، ثم قالت: «لقد سئمت هذه الياقوتات. أعيديها إلى الصائغ واخبريه أن يعيد تنسيقها.»

فقالت جوسيه بصوت مستسلم وكان هذا كان أمراً قد اعتادته: «حسناً جداً، يا سيدتي.»

«اخبريه أن يرسل فاتورة بالثمن إلى الدوق، أو من الأفضل أن يرسل لي عقداً من الزمرد. لقد سئمت العقد الذي عندي.»

ولم تنتظر ليونايد الجواب، بل سارت نحو إيفا وهي تقول: «إن اللورد تشارلس ينتظر في الأسفل وذلك منذ وقت طويل. والآن تذكري، انك فتاة تعاني من أوقات صعبة، إنك بحاجة إلى نقود، ولكنك سيدة محترمة، وخارج هذا المنزل لا تعرفين امرأة مثلي.»

وكان يتخلل صوتها نبرة ساخرة، ولكن إيفا قالت: «إنني اعلم انك في غاية الشهامة، يا سيدتي.»

وجمدت ليونايد ليبلان في مكانها، لحظة، ثم قالت بسرعة: «هيا بنا، هيا بنا، عليّ أن أذهب إلى الغابة، أما أنت واللورد تشارلس فيجب أن تتحدثا قليلاً قبل أن تذهبا لزيارة السيد كارلو.»

هبطتا السلم، وفتح لهما خادم باب الصالون. واندفعت ليونايد ليبلان داخلة، وكان اللورد تشارلس جالساً على أريكة يقرأ في صحيفة، وعندما رآها، هب واقفاً وهو يقول: «ظننتك نسيتني.»



أجابت: «وكيف يمكنني هذا؟»

ولاحظت إيفا في صوتها لهجة مختلفة عن الطريقة التي كانت تتحدث فيها إليها هي.

لم تكن تستطيع وصف لهجتها تلك، ولكنها كانت بشكل ما، ملاحظة، أو لعلها تحمل إلى التذكير بشيء ما، كما أحست إيفا.

وشعرت إيفا، لحظة، بأنهما يتبادلان الكلام دون كلمات.

ولكن ليونايد ما لبثت أن قالت بسرعة: «والآن، أريدك أن تتعرف إلى إيفا فينارد، التي وعدت بأن تساعدك وستقوم بكل ما تريده منها، بالضبط.»

وكانت إيفا قد تبعت ليونايد ليبلان ببطء، ولم يكن اللورد تشارلس قد اهتم بالنظر إليها في البداية، ولكنه الآن أخذ يحدّق إليها.

وشعرت بأن في نظراته تلك نوعاً من الإهانة، قبل أن يهتف قائلاً: «ليونايد، يا لك من بارعة، انك نابغة، بل أنت أكثر من ذلك، أنت رائعة.»

فابتسمت له ليونايد ليبلان وهي تقول: «إياك أن تخيف إيفا. إنها لم تعرف شيئاً كهذا من قبل، ولديك أشياء كثيرة عليك ان توضحها لها.»

فسألها: «هل أنت خارجة؟»

سألته: «ولماذا تظنني بهذه الأناقة؟ إن جمهوري في انتظاري وعليّ ألاّ اخيب أملهم.»

«سأوصلك إلى عربتك.»

أثناء انتظار إيفا له، تمنت لو أنها لم تقم بهذا العمل المعقد للحصول على مبلغ خمسمائة جنيه.

ولكنها مالبثت أن حدثت نفسها بأنها ناكرة الجميل حقاً. فاي فتاة أخرى حصلت على مثل هذه الفرصة الرائعة؟

وهمست لنفسها تقول: بإمكاني أن أبقى في باريس، وأعيش في بيتي الصغير الرائع، ولهذا يجب أن اكون عاقلة ولا أشكو من أي شيء.

عندما عاد اللورد تشارلس إلى الغرفة، كانت لا تزال واقفة حيث كان تركها.

إبتسم لها مسروراً، ثم قال: «إنني شاكر ليوناید. فمظهرك كما أريده بالضبط.»

فقالت: «أشكرك، وآمل ألاّ أقترف أي خطأ.»

فقال: «أظن من الأفضل أن نجلس ونتحدث في هذا الشان. أظن أن ليوناید قد سبق واخبرتك بسبب قيامك بهذا الدور معي.»

فقالت بشيء من التردد: «عليّ أن اتظاهر... بأنني... خطيبتك، ولكن... أظن أن عليك أن تخبرني... عن مدة تعارفنا... وعما إذا كنا تعارفنا في انكلترا أم في فرنسا.»

قال بحزم: «بل في فرنسا، ذلك أن كارلو إذا هو تحدث عنك لأي من اصدقائي الانكليز، فسيستغربون كونهم لم يسمعوا باسمك من قبل.»

هتفت إيفا: «آه، لقد فهمت، ثم إن السيدة ليبلان قد طلبت مني أن أقول إن أبي هو فرنسي.»

«أظن أن ليوناید تضع في اعتبارها لغتك الفرنسية السليمة تماماً مما لا يتوقعه كارلو من فتاة انكليزية.»



فقالت: «إنك توضح الأمور بشكل افضل كثيراً.»

تابع يقول: «ان ما أريد، هو أننا عندما نستطيع تركيز فكرة خطوبتنا في ذهن كارلو، فيمنحنا المبلغ الذي عليه دفعه لي، ما أريده هو ان ننتهي من هذه المتاعب.»

فقالت إيفا: «أرجو... أرجو ذلك.»

فقال: «يبدو أنك متشككة في الأمر. ما الذي يقلقك؟»

فاجابت: «لا شيء في الواقع، ما عدا أن أمي كانت دوماً تقول إنني لا أحسن الكذب، فأخاف بأن... أخذلك.»

ضحك اللورد تشارلس: «إنني واثق من عدم حدوث ذلك. لقد أكدت لي ليوناید، وهي خير من يحكم على الأشخاص، اكدت لي انك ستؤدين دورك بشكل حسن جداً. انك مذهلة الجمال، كيف امكن ليوناید أن تعثر على فتاة مثلك في هذه المدة القصيرة.»

فاوشكت إيفا على القول إنها هي التي زارتها، ولكنها عادت فتراجعت، خوفاً من أن يكون في قولها هذا خطأ ما، وبدلاً من ذلك، قالت: «أظن من الخطأ ان اتذكر شيئاً ما عدا أنني خطيبتك وأني في سبيل الزواج.»

فنظر إليها اللورد تشارلس بحدة، ثم ضحك قائلاً: «ها انك تتهربين من الجواب. معك حق، عليك طبعاً ان تحتفظي بأسرارك. وكما تقولين، علينا أن نلتزم باتفاقيتنا.»

ألقى نظرة على ساعة الحائط، ثم قال: «لقد طلب منا كارلو الحضور باكراً، ولهذا أقترح أن نذهب إلى منزله والذي كما لا شك تتصورين، غاية في الفخامة والأهمية.»

سألته: «هل هو ثري جداً، جداً؟»

أجاب: «فائق الثراء. ويقولون انه لولاه لانهارت الإمبراطورية. إن رجال البورصة يتمنون رضاه».

فقالت إيفا: «يبدو من لهجتك انك لا تحبه.»

فأجاب باسماً: «إنني أشعر بحنين بالغ نحو نقوده.»

فبعثت لهجته إيفا على الضحك.

فنهض اللورد واقفاً، وقال: «إنك جميلة جداً، وأريد أن أسمع منك السبب في أنك لست ثرية مثل ليونايد بينما أنت بهذا الجمال؟»

وإذ لم تفهم إيفا ما يعني بكلامه هذا، قالت: «أظن أن الجواب هو أنني لست بمهارتها.»

قالت ذلك وهي تستدير خارجة من الغرفة ما جعلها تغفل عن النظرة التي بدت في عيني اللورد، ولم تكن العربة التي كانت في انتظارهما لتماثل بأي شكل عربة ليونايد، وكذلك الجوادان اللذان يجرانها.

كان سطحها مكشوفاً والحوذي يرتدي بزة رسمية، ولكن إيفا رأت أنها من نوع العربات التي يستأجرونها من اسطبلات التأجير.

ولكنها لم تشأ أن توجه إلى اللورد أية أسئلة خشية من أن يكون في ذلك خطأ.

وأثناء الطريق، لاحظت أن اللورد منزعج نوعاً ما رغم ما يبدو عليه من هدوء.

لكن الفضول جعلها تسأله: «إذا تملك السيد كارلو الغضب حقاً إذا أنت لم تتزوج ابنته، فما الذي سيحدث للجياد التي اشتريتها له؟»

فأجاب: «إن بإمكانه أن يرفض الدفع، ما يجعلني أفتش



على مشتر آخر لها، وإلا وجدت نفسي مفلساً، هذا إذا لم يهب أخي لنجدتي.»

كان يتكلم بعنف أدركت إيفا منه مبلغ خوفه، فقالت وقد شعرت بالأسف لأجله: «إنني أرجو من كل قلبي ألاّ يحدث ذلك لك. وأنا لدي شعور بأن ذلك لن يحصل، لأن ليس لدى كارلو الحق في ارغامك على الزواج من ابنته.»

فقال: «أرجو أن يكون كلامك صحيحاً، واهتمامك هذا بي هو شهامة منك.»

فقالت بصدق: «ولكنني أفكر أيضاً بنفسي.»

فنظر إليها بفضول، ثم قال: «هل لمبلغ خمسمائة جنيه مثل هذه الأهمية عندك؟ إن شكلك يعني أن هناك عشرات من الناس يعرضون عليك اكثر من هذا المبلغ بكثير.»

فاتسعت عيناها من شدة دهشتها، ثم قالت: «إنني لا اعرف أناساً كثيرين... وأنا طبعاً لا اقبل نقوداً من أحد إلا إذا كان ذلك مقابل عمل.»

كانت تتكلم بذهول لهذه الفكرة ما جعل اللورد تشارلس يرى أنها، إذا كانت تمثل ذلك، فهي ممثلة بارعة جداً.

وسأل نفسه، من أين تراها ليونايد قد أحضرتها؟ وكيف تمثل هذا الدور بينما هي تتكلم بهذا الشكل؟ وعلى كل حال، لم يعد لديه مجال للتفكير في هذا الأمر حيث وصلت بهما العربة إلى منزل جيران كارلو والذي كان قائماً بين اشجار ملتفة، وسط حديقة واسعة.

وكان هذا المنزل، فيما مضى، ملكاً لأحد النبلاء الروسيين، وكان هذا قد عجز عن الاحتفاظ به في نفس

www.rewity.com

المستوى، فاضطر إلى بيعه والسكن في قصر له في الأرياف.

دخلت بهما العربة من خلال بوابات حديدية منقوشة بالذهب.

ورأت إيفا كل ما تقع عيناها عليه، ينطق بالثراء، فهناك السجادة الحمراء التي كانت تغطي الدرجات الحجرية والتي كانت أكثر سمكاً ونعومة من أية سجادة سارت عليها من قبل.

ثم الخدم الستة الذين كانوا مصطفين في الردهة ببزاتهم الجميلة المزينة بالشرائط الذهبية.

كما كانت بزة رئيس الخدم أكثر تألقاً.

لقد رافقهم إلى باب هناك حيث سألهما عن اسميهما ثم فتحه معلناً بصوت رنان: «الآنسة إيفا فينارد واللورد تشارلس كريغ، يا سيدي.»

وشعرت إيفا لحظة، للخوف الذي تملكها، بالغرفة تهتز أمامها.

ولكنها ما لبثت أن أدركت أن ما بهر بصرها هي الثريات البلورية الضخمة، والكراسي المذهبة ومثلها الأرائك والمرايا.

تقدم السيد جيرار كارلو للترحيب بهما، وذلك من حيث كان واقفاً عند المدفأة.

وعندما استطاعت إيفا تركيز نظراتها عليه، رأته رجلاً قصير القامة ذا شعر أسود لامع وحاجبين كثيفين.

ورغم أنه كان يبدو فوق الخمسين من عمره، إلا أنه كان نحيفاً سريع الحركات.



مد يده إلى اللورد تشارلس وهو يقول: «إنني مسرور لرؤيتك، يا سيدي اللورد، وأنا أرحب طبعاً، بصديقتك؟»

كان في لهجته وهو ينطق بكلمة (صديقتك)، نبرة دهشة، رغم أن إيفا لم تلحظها.

كما كان في عيني السيد كارلو نظرة ريبة وهو يظن اللورد تشارلس يحضر معه شابة ما كانت لترضى أمه باستقبالها في بيتها.

ولكن اللورد تشارلس، وقد أدرك ما تضمنته كلماته، لم يبال، بل قال: «وأنا مسرور لوجودي هنا، أيها السيد. هل لي أن أقدم اليك الآنسة إيفا فينارد؟»

ثم أضاف وكأنه يدلي إليه بسر: «سنخبرك بسر صغير عليك أن تعدنا بعدم إفشائه لأحد في الوقت الحاضر. وهو أننا، أنا والآنسة مخطوبان وسنتزوج قريباً.»

وساعدت جيرار كارلو مهارته كرجل اعمال، على ألاّ يظهر على وجهه أي دهشة.

ومع هذا، أدرك اللورد تشارلس، والذي كان يراقبه بدقة، أن ما قاله لم يتقبله هذا قبولاً حسناً. فقد اقتضاه التكيف مع هذا الوضع الجديد غير المتوقع ثانية أو اثنتين قال بعدها بصوته الهادىء الذي لا ينضح بسوى الاخلاص: «يسرني جداً ثقتك هذه بي، وأنا طبعاً لن أكشف عن سرك هذا إلا إذا سمحت لي بذلك.»

فقال اللورد تشارلس يوضح له الأمر: «عليك أن تتفهم أنني لم أخبر أخي بهذا، أو أياً من أفراد أسرتي.»

وابتسم لإيفا ثم تابع يقول: «وحالما يعلمون، سنقيم ترتيبات الزواج وطبعاً سنرسل إليك دعوة.»

أجاب السيد كارلو: «وسيسرني تلبية الدعوة، ودعني أكون أول من يهنئكما.»

وتقدموا جميعاً نحو المدفأة. وفي هذه اللحظة، وقد أدرك اللورد تشارلس أنها خطة موضوعة، دخلت الآنسة جيل كارلو الغرفة. كانت فتاة جميلة الشكل رغم شبهها بأبيها، كان أنفها الكبير قليلاً قائماً بين عينين سوداوين بالغتي الاتساع في وجه بيضاوي صغير.

قال جيرار كارلو بصوت يفيض بالعطف: «آه، ها أنت ذي يا عزيزتي، أريدك أن تتعرفي إلى اللورد تشارلس كريغ وصديقته، الآنسة إيفا فينارد.»

وتصافحت الأيدي ليدور بعد ذلك بين الجميع حديث متكلف إلى أن أعلن أن الغداء جاهز، وحيث أنهم كانوا أربعة أشخاص فقط، فقد أدرك اللورد تشارلس أن جيرار كارلو كان قد خطط لتقديمه إلى ابنته بمنتهى المهارة، حتى إذا انتهى الغداء، وقبل أن يذهبوا إلى الاسطبل، عند ذلك يعرض عليه الزواج منها.

أخذ اللورد تشارلس يحدث مضيفه عن الجياد التي ابتاعها لأجله.

أخبره عن الاسطبلات التي كانت فيها، وعن أصحابها، وطريقة تنشئتها.

وأدركت إيفا أن عليها أن تتحدث إلى الآنسة جيل كارلو، ولكنها وجدت الفتاة بادية الخجل، كما كان واضحاً بأنها تشعر الهلع من أن تقول أي شيء قد يجلب عليها حنق أبيها.



كانت قبل أن تجيب عن أي سؤال يوجه إليها، تنظر إلى أبيها لترى إن كان يستمع إليها، أو لكي تحصل على موافقته.

وعند انتهاءهم الغداء، كانت إيفا قد اقتنعت بأن كارلو هو رجل مخيف.

ذلك أنه كما يستخلص المال ممن خارج منزله، يتطلب الطاعة العمياء، في داخله.

كان الطعام ممتازاً، وعندما انتهى الغداء، أخبر اللورد تشارلس السيد كارلو بأن الجياد لا بد هي الآن بانتظارهم في الاسطبل.

فقال السيد كارلو: «يجب ان نذهب لرؤيتها إذن. وأرى أن بإمكان الشابتين، إذا شاءتا البقاء هنا.»

وقبل أن يجيب اللورد تشارلس، قالت إيفا: «آه، أرجوكما أن تسمحا لي بالذهاب معكما، فأنا أعشق الخيل، وقد سمعت الكثير عن تلك التي أحضرت إلى فرنسا لأجلك.»

فقال السيد كارلو موافقاً: «إذن، ستأتين معنا طبعاً، ماذا بالنسبة إليك يا جيل؟»

فأجابت ابنته: «إن لدي درساً في الموسيقى يا أبي.»

كانت تتكلم بقناعة، ولكن إيفا شعرت بأن الفتاة سبق وأبلغت بألا تأتي معهم.

وتركت عربة اللورد تشارلس، لتستقل عربة مضيفهما الفارهة.

كانت العربة رائعة متألقة تماثل، تقريباً، عربة ليونايد ليبلان.

وتاقت إلى أن تسأل عما إذا كانت المصابيح، اللجم، مقابض الأبواب، والأشياء الأخرى مصنوعة من الذهب الخالص.

فقد كان ذلك يدل على الترف البالغ، وشعرت بأنه حتى البسط المكسوة بها أرض الاسطبلات لا بد أن تكون مصنوعة من صوف أكثر وأفضل صوفاً من تلك التي تكسو أرض بقية الاسطبلات.

ولا بد أن مرابط الخيل في تلك الاسطبلات هي بنفس ترف غرفة في قصر التويلري، وكان السيد كارلو يملك عدداً من الجياد، ولكن ليس منها ما يماثل تلك التي احضرها إليه اللورد تشارلس من انكلترا.

قد يكون متضايقاً من فشل خطته في تزويج ابنته من اللورد تشارلس، ولكنه لم يستطع إخفاء سروره كونه أصبح صاحب هذه الجياد الرائعة.

كانوا في مربط الحصان الفحل الذي كان اللورد تشارلس قد اشتراه من الاسطبلات الملكية، عندما قال كبير السائسين: «لقد جاءك زائرون، يا سيدي.»

فاستدار السيد كارلو، كما نظر اللورد تشارلس من فوق كتفه في نفس الوقت.

عند ذلك، هتف بالانكليزية: «مرحباً، يا أخي، إنني لم أتوقع رؤيتك هنا.»

فأجاب القادم: «لقد سمعت أنك في باريس، يا تشارلس.»

كان رجلاً بالغ الوسامة فوق الستة أقدام طولاً، ذا جسم رياضي.

وبدا بعيني إيفا رجلاً انكليزياً لا يمكن أن تخطئه



العين أينما ذهب، كما بدا في عينيها مألوف الهيئة بشكل ما.

وقال اللورد تشارلس: «لا أظنك، يا سيد كارلو قد تعرفت من قبل على أخي الدوق أوف كينكريغ.»

فأجاب السيد كارلو: «كلا، في الواقع، ويسرني الترحيب به.»

فأجاب الدوق: «وأنا متلهف إلى رؤية جيادك. لقد حدثني الكونت بأن لديك أحد أفخر الاسطبلات في فرنسا.»

فقال السيد كارلو: «هذا ما أتمناه.»

ونظر الدوق إلى خلفه حيث كان السيد الذي جاء معه واقفاً يتكلم مع أحد خدمه.

ثم أقبل نحوهم قائلاً: «المعذرة، يا كارلو، كيف حالك؟ تسرني رؤيتك ثانياً.»

فأجاب: «وكذلك تسرني رؤيتك.»

ونظر الدوق إلى أخيه، قائلاً: «لا أظنك، ياتشارلس، تعرف الكونت دي شابريللين الذي أنا في ضيافته.»

فأجاب اللورد تشارلس وهو يمد يده يصافحه: «كلا، بل سمعت به.»

وما أن تحدث الدوق بذلك، حتى أخذت إيفا تحملق في القادم الجديد.

كان رجلاً في حوالي الخمسين من العمر، رائع الهيئة ويبدو فرنسياً بشكل واضح.

وحدثت نفسها قائلة، إذن، فهذا هو خالي؟ وانتبهت إلى أن الدوق كان يحدّق إليها، فقال اللورد تشارلس ببطء: «أقدم إليك أخي، يا آنسة إيفا فينارد.»

فانحنت إيفا باحترام بينما قال السيد كارلو: «إنها مناسبة هامة لم أتوقع أن تحدث في اسطبلي.»

فبدت الدهشة على وجه الدوق، وسأله: «مناسبة هامة؟»

فوضع السيد كارلو اصبعه على شفتيه، وهتف يقول: «آه... ها قد ارتكبت غلطة، ما أشد غفلتي أرجو أن تسامحني، يا لورد تشارلس، ولكنني نسيت تماماً أنك اخبرتني ان خطبتك هي سرية.»

ولكن إيفا كانت واثقة من أنه لم ينس هذا، ولكنه تعمد أن يسبب المشاكل للورد تشارلس للاستياء الذي يشعر به نحوه.

لقد أصبحت واثقة الآن من أنه سيبتاع الجياد، ولكن بما أن خطته في تزويج ابنته قد فشلت، فهو لا يريد أن يفلت اللورد من انتقامه.

فقال الدوق: «خطبتك؟ لماذا لم تخبرني عنها يا تشارلس؟»

وكان استياؤه واضحاً، فأجاب اللورد تشارلس بسرعة: «لم يكن لدي وقت، وعلى كل حال لم يكن لدي فكرة عن وجودك في فرنسا.»

فتدخل الكونت دي شابريللين قائلاً: «حسناً، بما أن الأمر قد حدث الآن، علينا أن نحتفل بذلك.»

وقال لشقيق الدوق، باسماً: «وحيث انني واثق من أنك تريد أن تزيد التعارف بين خطيبتك وأخيك، فإنني أدعوكم إلى تناول العشاء عندي هذه الليلة.»

ولم يكن أمام اللورد تشارلس إلا أن يعلن عن سروره



بهذه الدعوة، ثم، وكان السيد كارلو قد اطمأن إلى أنه أثار ما يكفي من الإزعاج، ابتدأ يمتدح الجياد المرسلة من إنكلترا.

كانت إيفا تتبع الرجال في طوافهم في الاسطبل دون أن يلقي إليها أحد أي انتباه.

وهكذا سنحت لها الفرصة في أن تملأ عينيها من النظر إلى خالها عن قرب.

لم يكن أمامها إلا أن تعجب لهذه الصدفة التي كانت يمكن أن تجعل أباها، لو كان حياً، يضحك عالياً.

ذلك أنها اجتمعت بخالها، رأس عائلة أمها، في نفس الوقت الذي كانت هي فيه تتظاهر بشخصية فتاة أخرى.

# الفصل الرابع

في طريق العودة من منزل السيد كارلو إلى منزلها، كانت إيفا جالسة في العربة مع اللورد تشارلس وحدهما.

سألته: «لماذا تصرف السيد كارلو بهذا الشكل السيء إذ يخبر أخاك عن خطبتنا بينما سبق ووعد بعدم ذكر ذلك؟»

فأجاب: «كان ينتقم بهذا مني، فهو معروف بالحقد. وهو فعلاً، قد عقّد الأمور بالنسبة إليّ.»

فتنهدت إيفا ثم قالت: «ربما من الأفضل أن لا أتناول العشاء هذه الليلة في منزل الكونت.»

قالت هذا بينما كانت تعلم أنها تريد ذلك من كل قلبها.

وما أروع أن ترى أقرباء أمها، لطالما تملكها الفضول نحو تلك الأسرة.

وفكر اللورد لحظة، ثم قال: «أظن من الخطأ عدم ذهابك.»

فسألته: «لماذا؟»

«حسناً. قبل كل شيء سيظن أخي أنك تتجنبين مقابلته. وثانياً، بما أن كارلو سيكون هناك فقد يرتاب في مسألة خطبتنا.»

فقالت: «لم أدرك أن الكونت قد دعا أيضاً كارلو.»

www.rewity.com



فأجاب: «لقد سمعته يقول له ذلك عند توديعه. وعلى كل حال، ليس من المناسب ألاّ يدعوه معنا.»

فأجابت: «هذا صحيح.»

فقال: «إن للكونت منزلاً قرب منتزه الغابة. وهكذا سآتي لآخذك حوالي الساعة ثمانية إلا ربعاً. ذلك أن العشاء لن يقدّم قبل الثامنة والنصف.»

وكان يتكلم وكأنه مكره على ذلك.

وأدركت إيفا أنه مستاء لأن أخاه علم بأمر هذه الخطبة المزعومة.

ساد صمت قصير قال اللورد بعده: «لقد جعلني في موقف حرج. وما دام لم يسلمني الشيك بعد، فليس أمامنا، أنا وأنت، سوى العمل على إرضائه.»

قالت إيفا بصوت خائف: «ولكن لا بد أنه لن يرفض الدفع الآن.»

أجاب اللورد: «إن كارلو من الثراء بحيث أصبح قانوناً بحد ذاته. وكما سبق ورأيت بنفسك، لا يمكننا الثقة به. إذن، أرجوك أن تتقي الوقوع في أيّ خطأ.»

فأجابت: «سأحاول أن أنتبه جيداً.»

ولكنها كانت خائفة.

كان أحد الأثواب التي حولتها لها جوسيه، عائداً لأمها.

لقد كان أكثر أناقة من ملابسها المعتادة، وكان لونه بنفسجياً باهتاً ومصنوعاً من الشيفون الناعم، كما كان بسيط الطراز.

وعندما ارتدته، رأت أنه أشبه شيء بما تريده ليونايد

ستضع حول عنقها قلادة ليلان، لولا أن هذه كانت دون شك، رائعة وكذلك قرطين في أذنيها.

ولكنها ما لبثت أن ضحكت وهي تفكر في أن المجوهرات غير ذات أهمية.

ويكفي أن لديها منزلاً صغيراً بالغ الجمال، كما سيكون لديها من المال ما يكفيها مدة طويلة.

وكان عليها أن تسرّح شعرها بنفسها.

وإذا بها تجد بين حاجيات أمها شريطة من القطيفة بنفس لون الثوب.

وهكذا جعلت منها عقدة كبيرة زينت بها شعرها الذي كانت سرحته إلى الخلف في حلقات مكومة فوق رقبتها.

ووجدت أخيراً أنها نظمت شعرها بنفس الطراز الذي سبق ونظمت جوسيه به شعر ليونايد ليلان.

وكان ملحقاً بهذا الثوب شال كبير من نفس اللون.

وعندما وصل اللورد تشارلس صعدت إلى عربته وعندما شرعا في السير، هتف قائلاً: «لشدّ ما تبدين جميلة، وأنا أتوقع أن يقول لك هذا جميع المدعوين الذين سيكونون حول المائدة هذه الليلة، ما عدا أخي.»

فسألته: «أتظن أنه... لم يوافق... عليّ؟»

فأجاب: «أنا واثق من هذا، فقد رأيت التعبير الذي بدا على وجهه حين أخبره كارلو بأمر الخطبة، وأنا متأكد من أن ردة الفعل عنده ستكون عنيفة.»

وكان في لهجته من القلق ما جعل إيفا تقول: «أنا... أنا آسفة.»



فضحك وقال: «ساكون بخير. وحالما يدفع لي كارلو المبلغ، ساصارح أخي بالحقيقة وأرغمه على الاعتراف بأنني قمت بالشيء الوحيد الممكن في هذه الحالة.»

وساور إيفا شعور بأنه من الصعب إرغام الدوق على القيام بأي شيء.

فقد كان يتمتع بشخصية مسيطرة.

ولكنها لم تقل شيئاً، بينما قال اللورد تشارلس وكأنه يحدث نفسه: «ليس ثمة ما يمكننا عمله غير هذا.»

كانا راكبين في نفس العربة التي سبق واستعملاها أثناء النهار، ولكن إيفا لاحظت أن الحوذي كان مختلفاً ما جعلها تتأكد من أن العربة هي من اصطبل الاستئجار.

وقبل الوصول إلى الغابة، استدارت الجياد حيث سلكت طريقاً قصيراً قام في نهايته منزلاً بدا لإيفا كبيراً بالغ الجمال.

طالما حدثتها أمها عن قصر الكونت في الأرياف والذي أمضت فيه حياتها وهي فتاة. ولكن إيفا لم تتذكر أنها حدثتها مرة عن هذا المنزل القائم في باريس.

ولكنها كانت حالياً، على كل حال، أكثر اهتماماً بالكونت منه بما يملك.

وكان هو في انتظارهما في غرفة الاستقبال. وكانت هذه تطل على الحدائق خلف المنزل.

رأت إيفا أنها كانت مزخرفة بشكل رائع الجمال وبطراز فرنسي خالص.

وبدا الكونت، وهو يمد يده لهما للمصافحة، أنيقاً في

ثيابه المسائية التي تختلف قليلاً عن تلك التي يرتديها الدوق واللورد تشارلس.

قال: «إنني مسرور لوجودك هنا، يا آنسة. لطالما أعجبت بدراية خطيبك بالخيل، وليس هناك من يعلم بذلك مثل شقيق زوجك المقبل.»

وبينما كان يوجه إليها هذه المجاملات، كانت إيفا تلحظ أن الدوق كان متجهم الوجه.

ولم تلحظ في عينيه، وهو ينظر إليها، أي رضى.

وتابع الكونت يقول: «إنني محظوظ جداً هذا المساء، إذ أن لديّ خبيراً آخر في الخيول والذي هو ضيفي كما تعلمون.»

وأثناء حديثه، دخل رجل إلى الغرفة.

كان يبدو رجلاً بارزاً يحيط به جوّ من السلطة جعل إيفا غير مستغربة حين قدّموه إليها على أنه الماركيز دي سواشون.

وبدا أنه تربطه بالدوق صداقة قوية.

قال الأخير: «تهانئي يا جاكس، فقد عرفت أن اثنين من جيادك فازا الأسبوع الماضي، وأظنك قد سبق وفكرت في الفوز بالميدالية الذهبية في أسكوت.»

فضحك الماركيز وقال: «أترى ذلك أكثر مما يجب أن أصل إليه؟»

فقال الدوق: «ولِمَ لا؟ وبصراحة، أظن أن لديك حظاً موفوراً في الرياضة.»

أجاب المركيز: «سأحاول على أية حال.»

وكان قد صافح اللورد تشارلس والسيد كارلو قبل أن



يقول اللورد: «والآن، يا آنسة فينارد، يجب أن أقدمك إلى واحد من أهم أنصار الخيل، الماركيز دي سواشون.»

فانحنت إيفا بينما مدّ الماركيز يده مصافحاً عند ذلك رأته ينظر إليها وكان الدهشة تملكته لرؤيتها.

وعندما جلسوا إلى مائدة العشاء، جاء مقعدها إلى يمين الكونت، وعلى يسارها كان مقعد الماركيز.

وانتابها الضيق وهي ترى هذا الأخير يحاول التكلم معها دائماً، بينما كانت هي تريد أن تستمع إلى ما كان يقوله خالها.

كان يمتدحها وفي عينيه نظرات شعرت بها وقحة للغاية.

وكان الكونت يتبادل النكات مع الدوق.

وأثناء ذلك، قال الماركيز بصوت لا يسمعه سواها: «مع من جئت ومتى أراك مرة أخرى؟»

فنظرت إليه إيفا بدهشة وبقيت صامتة.

فتابع يقول: «أظنك جئت مع كارلو. إن لديه ميلاً قوياً إلى الفتيات الصغيرات الرائعات الجمال.»

عند ذلك فقط، انتبهت إيفا إلى أنه لا يوجد نساء سواها حول المائدة.

ولهذا أخذ الماركيز عنها هذه الفكرة الخاطئة كلياً. ربما ظنها ممثلة، أو امرأة مثل ليوتايد ليبلان تتحدى التقاليد لأنها ليست سيدة محترمة بكل معنى الكلمة.

ولم تستطع أن تخبره بأنها خطيبة اللورد تشارلس لئلا يزيد ذلك من نشر هذه الكذبة.

ولكنها، في نفس الوقت، كانت تعلم أن عليها أن تجيب عن سؤاله هذا، فقالت ببرود:

«أنا... أنا حضرت إلى هنا بصحبة اللورد تشارلس.»

فأخذ يشتم ويقول: «ليست هذه هي المرة الأولى التي يزاحمني فيها تشارلس.»

وهنا انفجرت عاصفة من الضحك تلاشت معها كلماته الأخيرة والتي كانت. «أظنك تعلمين أنه لا يملك نقوداً.»

ولم تعرف إيفا ماذا تفعل.

عندئذ، استدارت نحو الكونت بسرعة وقالت: «لا بد أنها كانت نكتة مسلية جداً، ولكن الماركيز كان يتحدث إليّ فلم أسمعها.»

فابتسم الدوق قائلاً: «إن ما فاتك هو نكتة لا تناسب سنك. والآن، يا آنسة، يجب أن تحدثيني عن نفسك. هل تعيش أسرتك في باريس؟»

فهزت رأسها قائلة: «كلا. فأنا هنا لفترة قصيرة فقط. فأنا أسكن في الجنوب بالقرب من فينس.»

وكانت أثناء ارتدائها ثيابها قد فكرت في جواب مناسب إذا ما ألقي عليها هذا السؤال. عند ذلك تذكرت كتاباً، كانت قد قرأته، عن فينس، وجمالها الرائع.

فسألها الكونت: «إنك إذن لا تأتين كثيراً إلى الشمال؟»

فأجابت: «إنها المرة الأولى، في الحقيقة.»

«إذن فأنت لم تزوري أياً من قصور جنوب باريس؟»

أجابت: «هذا شيء أنا جد متشوقة لرؤيته.»



ابتسم لها قائلاً: «إن اللورد تشارلس سيخبرك بأن قصري غاية في الجمال.»

قالت ضارعة: «آه، حدثني عنه.»

كانت متلهفة إلى أن تنخرط في حديث معه إذ كانت تعلم أنه ما أن يشيح بوجهه عنها، حتى يصبح عليها أن تستمع إلى حديث الماركيز.

فقال الكونت: «لقد بني قصري في نفس الوقت الذي بني فيه قصر فو-لي-فيكونت الذي لا شك قرأت عنه في كتب التاريخ.»

فقالت بشوق: «نعم. لقد قرأت عنه.»

وفي الحقيقة، كانت أمها هي التي أخبرتها عن فو-لي-فيكونت. وكان ذلك عندما كانت تصف قصر أسرة شابريللين.

«إذن فأنت تعلمين طبعاً أن فو-لي هو الذي صمم تلك القصور الاسطورية فجرى بعدها تقليد لدى رجال بلاط لويس الرابع عشر بأن يمتلكوا أحد تلك القصور القريبة من باريس.»

كانت إيفا تستمع باهتمام، وفجأة قال: «أراك مهتمة كثيراً بهذا الموضوع، إذن، بدلاً من الاستماع إليّ، لماذا لا تأتين لرؤية قصري بنفسك؟»

فهتفت قائلة: «أتمنى ذلك أكثر من أي شيء آخر في العالم.»

فقال: «لا بد أن تقومي بهذا إذن.»

ونظر إلى اللورد تشارلس قائلاً: «ما دام أخوك في ضيافتي، يا لورد تشارلس، وهذه السيدة الفاتنة متشوقة

جداً لرؤية قصري، فأنا أقترح أن تحضرها غداً إلى القصر وتمكثا ليلتين على الأقل قبل أن تعودوا إلى باريس.»

ورأت إيفا اللورد تشارلس يتردد.

ثم، وكأنه أدرك أن من الخطأ أن يرفض، أجاب قائلاً: «هذا لطف كبير منك، يا سيدي، وأنا واثق من أننا، نحن الاثنين، سنبتهج جداً بهذا.»

وإذا كانت إيفا تتمنى قبوله، فقد تنهدت بارتياح.

وعندما أدارت رأسها، رأت الماركيز ينظر إليها بذهول، ثم سألها: «ما هذا؟ وماذا ستقول السيدة الكونتيس؟»

فقالت إيفا بتحفظ: «أظنها ستسرّ برؤيتي، يا سيدي.»

وعاد الكونت إلى متابعة حديثه معها ما لم يجد الماركيز معه فرصة لقول شيء آخر.

وحسب العادات الفرنسية، فقد تركوا جميعاً المائدة في وقت واحد.

وحالما استقروا في غرفة الاستقبال، قال السيد كارلو بأن عليه الذهاب إلى حفلة يقيمها بعض أصدقائه كان وعد بحضورها.

وأثناء توديعه اللورد تشارلس، قال له: «إنني لن أكون في باريس غداً، ولكن إذا قمت بزيارتي حال عودتك من قصر الكونت، فسننهي معاملاتنا المالية.»

وعندما سمعت إيفا ذلك، أدركت أن اللورد تشارلس قد شعر بالضيق.



فها هوذا السيد كارلو يعود إلى المماطلة في دفع ما يدين له به من مال.

ولكن لم يكن لديه ما يقوله على كل حال.

وشعرت، وهي ترى السيد كارلو يسير بمرح، أنه يشعر بابتهاج إذ يبقى اللورد تشارلس على أحرّ من الجمر.

ولم يبقيا طويلاً بعد ذلك، وأثناء الطريق إلى بيتها، قال اللورد تشارلس: «ما الذي جعلك تجعلين الكونت يستضيفنا في قصره؟ لو أننا بقينا في باريس، لأمكنني الحصول على المبلغ بعد غد.»

فأجابت: «أنا... أنا آسفة. لقد كان يتحدث عن قصره وكنت في الحقيقة، أحب سماع ذلك.»

فلم يقل اللورد تشارلس شيئاً، وتابعت هي معتذرة: «لقد كان الماركيز دي سولشون مهتماً بالسبب الذي يجعلني معكم في حفلة العشاء هذه، دون أن يكون هناك نساء غيري.»

فنظر إليها اللورد تشارلس بدهشة، ثم سألها بحدة: «لماذا؟ ما الذي قاله؟»

«سألني إن كنت جئت مع السيد كارلو، ثم قال إنه يريد رؤيتي... مرة أخرى.»

فقال اللورد تشارلس: «فهمت ما يظنه. ولكن إذا شئت نصيحتي، فلا تلبي طلبه. إن له سمعة قذرة.»

فتمتمت تقول: «هذا ما... ظننته.»

فتابع يقول: «إنه غني طبعاً، وكما تعلمين، هذا يغطي كل العيوب. ولكن لا بد أن هناك كثيرين ينتظرونك هم أفضل منه كثيراً.»

فلم تفهم إيفا ما يقصده بهذا القول. ولما لم تكن تريد إطالة الحديث عن الماركيز دي سوانسون، فقد غيرت الموضوع.

قالت: «قد يكون ضايقك هذا جداً، ولكنني في غاية الشوق لرؤية قصر الكونت دي شابريللين، ويمكننا أن نمضي ليلة واحدة فقط.»

فأجاب: «نعم، بالطبع. وليس في نيتي البقاء أكثر من ذلك لكي لا نواجه أخي.»

فقالت بصوت خافت: «ربما من الأفضل... أن تخبره بالحقيقة.»

لكنها أخذت تفكر في أنه إذا فعل اللورد تشارلس ذلك، ربما يفكر عند ذاك في أن ليس ثمة ضرورة للبقاء في قصر الكونت.

وهذا يجعلها غير قادرة على رؤية القصر الذي نشأت فيه أمها.

وفكر اللورد في كلامها هذا لحظة، ثم قال: «كلا. أظن ذلك سيكون خطأ. إن أخي من ذلك النوع الذي لا يكذب أبداً إذا كان بإمكانه تجنب ذلك، وربما، إذ ساء الحظ، يسمع كارلو بأننا خدعناه.»

فقالت: «يجب علينا إذن أن نكون حذرين جداً.»

فقال: «علينا ذلك. وسندع أخي في جهله، ولكن رجاء حاراً، حاذري في ما تقولينه.»

فقالت ضارعة: «إذن، أرجوك... لا تتركني وحدي معه.»

فقال: «سأبذل جهدي، ولكنك تعلمين نوع الخدم الفرنسيين... إنهم كثيرون، وثرثرتهم كثيرة.»



فضحكت، ولم تقل له انها لم تعش قط مع خدم فرنسيين لكي تعرف نوعهم.

* * *

استيقظت إيفا في الصباح التالي شاعرة بالحبور. فها هي بالصدفة ذاهبة لزيارة موطن أمها. وكان هذا أمراً لم تتوقع من قبل قط القيام به.

وعندما فكرت في ذلك، كانت واثقة من أن أسرة شابريللين قد تملكها الانزعاج لأن والدة أمها تركت لها منزلاً في باريس.

فهم لم يقوموا بأي إشارة إلى أنهم يودون الاجتماع إلى أبيها أو إليها هي لأجل ذلك الأمر.

وفكرت في مبلغ الغرابة في أن تدخل منزلهم باسم مستعار، وتملكتها الرجفة خوفاً من انكشاف أمرها.

فهذا لن يغضب خالها فقط، بل اللورد تشارلس كذلك وأخاه الدوق الرائع.

فكرت في أن عليها أن تخبر ليونايد ليبلان بذهابها إلى الريف، ولكن لم يكن ثمة طريقة تستطيع بها ذلك.

وقبل أن يلقي عليها اللورد تشارلس تحية المساء، رتب الأمر بأن يأتي ليأخذها الساعة الحادية عشرة من صباح الغد.

كانت إيفا تعلم بأن عليها أن تحزم حاجياتها بنفسها وتتأكد من أن لديها كل ما تحتاج إلى لبسه في الريف. ذلك أنه لم يكن ثمة فائدة من الاعتماد على خادميها العجوزين في ذلك.

وهكذا استيقظت باكراً لكي تكوي ثيابها الريفية التي ما زالت في الحقيبة منذ وصولها إلى باريس.

وعندما حان الموعد، كانت قد سرحت شعرها وارتدت ثوباً جميلاً رغم أنه لم يكن أنيقاً بما فيه الكفاية بالنسبة إلى الريف، ثم وضعت قبعة تناسبه.

وإذ تذكرت ما كانت ليونايد ليبلان قد أوصتها به، جلست في غرفة الجلوس تنتظر اللورد تشارلس.

وعندما وصل هذا، قالت وهي تلهث قليلاً: «آسفة لعدم دعوتك إلى الدخول، ولكن عمتي التي تعيش معي، مريضة وقد تناولت فطورها في الفراش.»

فهتفت قائلاً: «عمتك؟»

ورأت حاجبيه يرتفعان ولكنه لم يقل أكثر من ذلك. كما أنه لم يبد له غريباً أن تحدثه بالانكليزية.

فهي لم تشأ أن يسمع هنري الخادم ما تقوله عن عمتها المزعومة.

وكان هذا واقفاً في الردهة، وقد حمل حقيبتها خارجاً بها.

وكان اللورد تشارلس يقود عربة بالغة الأناقة وذلك بدلاً من عربة الأمس. وتساءلت عما إذا كان قد اشتراها أو استأجرها. وكان يجرها جوادان مطهمان.

وعندما شرعا في السير، وقد جلس السائس في الخلف، لاحظت إيفا أن اللورد سائق ماهر.

وساد بينهما الصمت إلى أن خرجا من المدينة وابتدأت إيفا تفكر في مبلغ جمال الريف.

وأخذا يجتازان الحقول الخضراء على ضفاف السين فهتفت إيفا دون وعي: «ما أجملها.»



فأجاب: «هذا ما أفكر فيه كلما جئت إلى فرنسا. ولا بد، على كل حال، أنك معتادة على ذلك حيث أنك تعيشين هنا.»

فقالت: «ولكن بقاع فرنسا مختلفة عن بعضها البعض.»

فأجاب: «نعم، بالطبع. وهذا هو السبب في توافد الفنانين إلى هذه البقعة.»

قال ذلك بلهجة هازلة جعلتها تضحك وهي تقول:

«عندما يرون قصر الكونت، لا بد أنهم يرسمونه أو ينظمون فيه قصيدة.»

فقال: «أنا شخصياً يهمني أكثر، قطعة من الورق تدعى شيك. إننا سنكتفي من الكونت وقصره عند منتصف هذه الليلة. وأنا أنوي الذهاب باكراً عند الصباح، فلا تدعي النوم يستولي عليك.»

فأجابت: «سأكون مستعدة للذهاب في أي وقت تشاء.»

كانت تقول هذا برقة جعلت اللورد تشارلس ينظر إليها وكأنه يراها للمرة الأولى، ثم قال:

«إنك شابة بالغة المرونة والتكيف. المسألة هي أن الأمور لا تسير كما كنت اشتهي بالضبط. لقد أصبت أمس بصدمة قوية عندما رأيت أخي يدخل الاصطبل في منزل كارلو.»

فقالت: «يبدو أنك تخاف منه.»

أجاب: «إنني أخاف منه بالطبع. إنك لا تفهمين الوضع، ذلك أننا في انكلترا، مثلكم، يرث الابن الأكبر اللقب والأملاك وجميع الأموال.»

فقالت: «أتعني حقاً جميع الأموال؟»

أجاب: «إنني أعتمد على أخي في كل قرش أملكه، وأنا حالياً، لا أملك سوى جبل من الديون.»

«هذا يبدو... مخيفاً جداً.»

«إنه كذلك.»

سادت فترة صمت، قال بعدها: «من الواضح أن أخي قد انزعج جداً لأنني خطبت دون أن أخبره، فتاة ليس لديها سوى مظهرها.»

وبدا في كلامه، شيء من الحط من شأنها دفعها لأن تقول بصوت متقطع: «ربما كان من الأفضل أن ندعي أنني وارثة غنية إلى أن يحين وقت إعلامه بالحقيقة.»

فأطلق ضحكة جافة: «سيكون ذلك أمراً خطيراً جداً. فالفرنسيون الذين يعشقون المال، الغني الغني منهم فقير. وأخي يعلم أن كارلو كان سينكر ذلك لو أنت كنت ثرية.»

سكتت إيفا، وبعد لحظة قال اللورد: «ليس أمامنا سوى الاستمرار في هذا الوضع حتى الغد، وعندما أصرف الشيك الذي سأستلمه، يمكننا أن نتنفس بكل راحة.»

قالت بصوت خافت: «إذاً فليس أمامي سوى أن أعود فأكرر ما سبق وطلبته منك، وهو أن... لا تتركني بمفردي مع الدوق. فإذا حاول أن يلقي عليّ أسئلة، فسيدرك بأنني... لم أخبره بالحقيقة.»

فقال بحدة: «يجب ألاّ تدعيه يفعل ذلك، فإنك تقبضين أجرك لمنع حصوله، فانتبهي إلى كلامك ولا تفسدي علينا الأمور أكثر مما هي عليه الآن.»

ولم يكن هناك ما تقوله إيفا، فتابعا الطريق بصمت، ولكن



الاكتئاب تملكها. ولم تشعر بالتحسن إلا بعد أن لاح لهما القصر.

كان كما توقعته بالضبط بأبراجه ونوافيره وحدائقه المنسقة.

وعندما صعدا الطريق المؤدي إلى الباب الأمامي، شعرت وكأن أمها معها تخبرها بأنها، بطريقة ما، قد عادت إلى موطنها.

وكان وصولهما في وقت الغداء بالضبط، فاستقبلهما الكونت مرحباً بحرارة.

وأحضر لهما خادم المقبلات.

وبينما كان الرجال يتحدثون، سارت إيفا إلى النافذة تتفرج على الحديقة.

كانت، كما كانت أمها أخبرتها بالضبط، حديقة فرنسية الطراز، ولكن الكلمات كانت عاجزة عن وصف الجمال الواقع.

كان ثمة نافورة ضخمة قائمة في الوسط، بينما توزعت في الأنحاء نوافير أصغر حجماً. وكانت النافورة الرئيسية منحوتة بدقة وجمال، وكان الماء يندفع منها ليتألق في أشعة الشمس بشكل خطفت روعته منها الأنفاس. وسمعت الكونت يقول: «أرجو أن تكون حديقتي، وكذلك قصري، قد أعجباك، يا آنسة.»

فهتفت: «لشدّ ما هي جميلة رائعة. كما توقعتها تماماً.»

فرفع حاجبيه يسألها: «هل سبق وسمعت بقصري من قبل؟ أم أن ذلك مجرد توقع؟»

فأجابت: «الاثنان. وما أجمل أن يفكر المرء في أنها ما

زالت بنفس الجمال الذي كانت عليه حين بداية انشائها، فلم يدمّرها نشوء الثورة.»

وما أن انهت كلامها، حتى شعرت بخوف من أن تكون كلماتها هذه خالية من الحذر.

فقد كانت أمها هي التي كانت حدثتها عن غرابة عدم تدمير القصر أثناء الثورة، وذلك بقولها: «أظن الحقيقة هي أن أهالي القرية كانوا يحبون الكونت في تلك الحين، ما جعلهم يحمونه وكذلك قصره.»

وكان الكونت يقول: «هنالك الكثير سترينه فيما بعد. والآن، ها هي ذي زوجتي. وأنا أعلم أنها متشوقة إلى التعرف عليك.»

ثم قدمها إلى سيدة بالغة اللطف علمت إيفا، فيما بعد، بانها من أسرة توازي أسرة زوجها نبلاً وارستقراطية.

جلست الكونتيس على طرف مائدة العشاء، بينما جلس الكونت على الطرف الآخر.

وكان الاثنان يبدوان غاية في الارستقراطية ونبل المحتد ما جعل إيفا تتفهم السبب الذي جعل الأسرة تشعر بخيبة الأمل تلك حين هربت أمها والتي كانت رائعة الجمال، لتتزوج من رجل انكليزي كان في تلك الحين غير ذي أهمية.

كان يعيش في القصر بعض أقارب الاسرة، وهو شيء كانت أمها قد حدثتها بانه شيء معتاد عندهم.

هذا بالاضافة إلى أولاد الكونت الستة ووالدتهم، ثلاثة منهم ناضجون، بينما الثلاثة الآخرون كانت أعمارهم تتراوح بين الثانية والثامنة عشرة.



وكانوا جميعاً جميلي الشكل مما سرّ إيفا، كما أن شعرهم جميعاً كان قاتم اللون.

ومع أنها ظنت أن شخصاً ما قد يلاحظ شبهها بأمها في الوجه والعينين، إلا أن شعرها وبشرتها كانا مختلفين تماماً عن شعر وبشرة أولاد خالها.

أخذ الجميع أثناء الغداء، يتحدثون معاً بغير كلفة كعادة الفرنسيين مما سرّ إيفا جداً.

ولكن لم يغب عن ملاحظاتها نظرات الدوق إليها والتي كانت عدائية نوعاً ما.

وكان، عند وصولهما، قد حياهما، هي وأخاه، ببرود ظاهر.

وبعد انتهاء الغداء، قال الكونت: «سأريكما الآن جيادي، وأرجو يا لورد تشارلز ألا تجدها الآنسة أدنى مرتبة من تلك التي أحضرتها معك من انكلترا.»

فأجاب: «لقد طفت الريف بأجمعه لكي أحصل على الأفضل.»

فقال الكونت: «هذا واضح. وأتمنى لو كان لديّ مثلها ولكنني، لسوء الحظ، لا أماثل كارلو ثراء.»

وضحك الرجلان وكان الأمر نكتة.

ثم أخذوا يتمشون في الحديقة متجهين نحو الاصطبل وأرادت إيفا أن تتأخر عنهم لتتفرج على النافورة، ولكنها كان تريد أن ترى الجياد كذلك.

كان يرافقها أحد أبناء خالها الكبار، وكان يحدثها عن تاريخ الأسرة.

سألته إيفا وهي تقف لتلتقط أنفاسها: «وماذا عنك أنت؟»

فقال: «أنوي أن أصبح سياسياً، ولكن لا تخبري أبي فهو يظن السياسة مجلبة للسأم، بينما أجدها أنا تثير الفضول.»

فضحكت وقالت: «سأحتفظ بسرك، وأنا أوافقك على أن السياسة تلفت الانتباه على الدوام.»

فقال: «إذا كنت تهتمين بالتاريخ، لا بد أن أخبرك عن ذلك المدفع الذي ترينه في آخر الحديقة.»

وتابعا سيرهما.

وتاقت إيفا إلى أن تخبره بأنها تعرف تاريخ المدفع بقدر ما يعرفه هو.

كانت جياد الكونت جيدة، بل غاية في الجودة. ومع ذلك، فلم تكن تماثل تلك الجياد التي رأوها في إصطبل كارلو.

قال الكونت: «إذا كنت واثقاً من أنها ستفوز في كل مباراة، يا لورد تشارلس، فلا فائدة إذن من اشتراكنا، نحن أصحاب الجياد الفقراء، في مباراة الجائزة الكبرى أو أي مباراة أخرى.»

فأجاب اللورد تشارلس: «أظنك متشائماً جداً. وبعد، إذا كان بإمكان كارلو أن يبتاع أفضل الخيول، فهو لا يعرف كثيراً عنها. فالمباراة يربحها الترويض الحقيقي واختيار الجواد المناسب.»

فوضع الكونت يده على كتف اللورد، وقال: «منطقك هذا سليم للغاية، أيها الشاب، وأنا واثق من أن أخاك يقدر تماماً درايتك الواسعة بما نسميه رياضة الملوك.»

فقال الدوق بشيء من الحقد: «إن تشارلس، دون شك، هو خبير في مجاله الخاص.»



ولكن إيفا فكرت بحنق في أنه هو نفسه كريه في أكثر من مجال.

لقد كانت حذرة جداً من الاقتراب منه، متوخية الابتعاد عنه قدر ما تستطيع.

وكان لديها عند وقت العصر، الكثير الذي يستحق الرؤية. ثم ذهبت إلى المكتبة يصحبها بيار ابن خالها، وهو الذي كان بصحبتها من قبل.

وإذا بالدوق يلحق بهما على غير توقع، وهو يقول للفتى: «إن أمك تسأل عنك، يا بيار. فقلت لها إنني سأفتش عنك. إنها في الصالون الأزرق.»

ولم يكن أمام بيار إلا أن يذهب إلى أمه.

وغاص قلب إيفا إذ أدركت أنها قد أصبحت وحدها مع الدوق رغم محاولاتها تجنب ذلك.

سألها: «هل تهتمين بالكتب، يا آنسة فينارد؟»

فأجابت: «كثيراً جداً. ولكنني لم أر قط من قبل مثل هذه المكتبة الرائعة.»

«إنني، حالياً أفضل الحديث عنك.»

فقالت بسرعة: «إنني... أتساءل أين يمكن أن يكون تشارلس... قد ذهب.»

لقد تذكرت في الوقت المناسب توصية اللورد تشارلس لها، عندما اقتربا من القصر، إذ قال:

«لا تنسي أن تناديني باسمي الأول. إذ لا يمكنك أن تقولي للرجل الذي ستتزوجينه يا سيدي اللورد.»

فقال الدوق: «إن تشارلس حالياً، مع مضيفه ولا يمكنك، يا آنسة فينارد، أن تستمري في الهرب مني.»

فاحمر وجهها.

لم تكن منتبهة إلى أنه قد لاحظ محاولاتها تجنبه. وكان إلى جانبي المدفأة أريكتان، فقال الدوق: «هل تحبين الجلوس؟»

ولم يكن أمامها إلا أن تجلس.

وأثناء جلوسها، نظرت إلى الباب وهي تتمنى أن يدخل شخص ما فيجلس معهما.

وابتدأ الدوق يقول: «قبل كل شيء، أخبريني عن أسرتك. أشعر بأن أخي كان مهملاً للغاية في عدم اخباري عنك.»

فأجابت: «كان ينوي ذلك عند عودته إلى انكلترا.»

فقال: «ولكنني هنا، والأمر سيكون أكثر سهولة إذا أنت أخبرتني عن نفسك.»

فقالت: «لا أظن لديّ... الكثير لأحدثك عنه. إن... أبويّ متوفيان.»

وكانت هذه هي الحقيقة على كل حال.

فقال: «آسف. لا بد أن وحدتك تحزنك جداً.»

فأجابت: «إنني أفتقدهما... كثيراً جداً.»

«أعتقد، وقد أكون مخطئاً، أنك لست فرنسية خالصة.»

«كلا. لقد كانت أمي انكليزية.»

فقال: «انكليزية؟ وماذا كان اسمها؟»

وكانت إيفا قد سبق وفكرت في سؤال كهذا قد يوجّه إليها، وإذا لم تشأ أن تزيد من الأكاذيب.

أجابته: «لقد كان اسمها الأول هو هيلْ.»

فقال: «هذا الاسم منتشر في انكلترا بكثرة. فهو اسم شائع. أين كان جداك يعيشان؟»



«في... غلوسستر شاير.»

«هل سبق وذهبت إلى انكلترا؟»

«نعم.»

«وهل أحببتها قدر حبك لفرنسا؟»

فأجابت: «إنني أحب البلدين. وبعد، فليس ما يفصل بينهما سوى القتال.»

فقال الدوق باسماً: «هذا تعبير حسن، ولكنه فاصل على كل حال، وأنا أتساءل يا آنسة فينارد، وربما بإمكاني أن أخاطبك باسمك إيفا، حيث ستكونين مستقبلاً بمثابة أخت لي، أتساءل عما إذا كنت ستحبين الحياة في انكلترا.»

فأجابت: «إنني أتطلع بشوق إلى ذلك.»

«أظن أن تشارلس قد سبق وحذرك من أن أحوالكما ستكون صعبة من الناحية المالية، إلا إذا كان لديك أنت المال، طبعاً.»

فشعرت إيفا بأنها لم تعد تستطيع الاحتمال.

كانت خائفة مما قد تقوله، فنهضت واقفة، وهي تقول: «أرجو المعذرة من سيادتك. ولكن عليّ أن أذهب إلى مضيفتي فقد وعدت بأن تريني أنحاء القصر... وقد تظن بي سوء الأدب إذا ما جعلتها تنتظر.»

وحيته دون أن تنتظر جوابه، ثم اتجهت خارجة من الباب حيث انطلقت في الممر لتصعد السلم إلى الطابق الأول.

ولم تشعر بالأمان إلا بعد أن وصلت إلى الغرفة التي كانوا أخذوها إليها ساعة وصولها.

وحدثت نفسها، لقد أخافني. ومن حسن الحظ، إنني لست

www.rewity.com

واقعة في غرام الورد تشارلس، لأنني واثقة من أنه، في كل الأحوال، سيفصم خطوبتنا هذه.

جلست أمام منضدة الزينة وأخذت تنظر إلى نفسها في المرآة، ثم تابعت تحدث نفسها قائلة: «ربما، لو أنه عرف شخصيتي الحقيقية، لما شعر بهذا العداء نحوي. فهو يظن أنني لا أصلح لأخيه الغالي... لو كان أبي موجوداً، لاعتبر ذلك إهانة.»

# الفصل الخامس

بعد انتهاء العشاء، والذي ساد جوه الثرثرة والفكاهات، قال الكونت: «اعتقد انكم، أيها السادة، تحبون أن تلعبوا الشطرنج.»

فصدرت عن أبنائه تمتمات الموافقة وكذلك عن اللورد تشارلس.

وقال الكونت يخاطبه: «حيث أنك اخبرتني بانك والآنسة فينارد، ستغادران عند الصباح، فسآخذ خطيبتك إلى معرض الصور في القصر، لا يمكن لها أن تذهب دون أن ترى صور اسلافي.»

فضحك أولاده لذلك، وأخذوا يغيظونه، بينما قالت إيفا: «انكم تعلمون أنني أريد أن أتفرج على كل شيء في القصر الذي هو أروع بناء رأيته في حياتي.»

فقال الكونت مخاطباً إبنه بيار: «هل سمعت؟ هنالك شخص معجب بما يشغل أفكاري.»

فأجاب بيار: «إننا جميعاً يتملكنا الزهو مثلك يا أبي، ولكننا لا نتحدث عن ذلك كثيراً.»

فقال الكونت: «إذهب والعب، أيها الفتى الوقح.»

اصطحب ايفا حيث سارا إلى حيث كان هناك معرض مستطيل في آخر القصر. وكان رائع التنسيق ككل شيء آخر في القصر، ابتدأت الصور بأول أسلاف الكونت، ثم ابتدأ الطواف تدريجياً إلى أن انتهيا إلى لوحة حديثة الصنع.

وكانت اللوحة تمثله مع زوجته وأولاده، العديد من الأسماء كانت مألوفة لإيفا.

فقد كان كونتات دي شابريللين رجالاً مشهورين كرجال دولة، وجنرالات وموظفين في البلاط الملكي، وأخذت تستمع باهتمام لكل ما كان يقوله خالها، وتنقلا ببطء من لوحة إلى أخرى.

وفجاة، اضطربت عندما رأت نفسها أمام لوحة تمثل أمها.

كانت صورة لأمها ليزيت عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها.

وتكهنت إيفا بأن هذه الصورة رسمت عندما عقدت خطوبتها رسمياً.

ووقفت تتأمل في اللوحة، عينيها هي، وأنفها، وفمها.

أما الفارق الرئيسي بينهما، فهو أن شعر أمها كان قاتم اللون.

كما أن لونها لم يكن ناصعاً وردياً شفافاً، وهو اللون الإنكليزي.

ونسيت إيفا، للحظة، أن الكونت كان بجانبها، فقد كانت مستغرقة في النظر إلى أمها وكأن هذه تكلمها.

وكأنما انتبه الكونت إلى هذا الاهتمام الخاص بهذه الصورة، فقال: «إنها أختي ليزيت، التي مع الأسف، تسببت في فضيحة للأسرة عندما هربت لتتزوج من رجل إنكليزي.»

فلم تتكلم إيفا، بينما تابع هو يقول: «لقد كانت جميلة



جداً، كما ترين، وأنا نادم لأنني لم أذهب لرؤيتها قبل وفاتها.»

فحبست إيفا أنفاسها وهي تحاول مغالبة دموعها. فقد كان دوماً صعباً عليها أن تتحدث عن أمها دون أن تشعر بالرغبة في البكاء.

والآن، ها هي ذي صورتها تبدو وكأنها تتحدث إليها.

وأخذت تجاهد في تمالك نفسها كي لا تنهار، وإذا بالكونت ينظر إليها وكأنه انتبه إلى اهتمامها هذا.

وفجاة، بدا على ملامحه تعبير ينم عن عدم التصديق ثم أخذ ينقل نظراته بينها وبين الصورة، وأخيراً، هتف وكأنه يحدث نفسه: «الشبه بينكما لا يصدق، لقد سبق ولاحظت أن وجهك مألوف لدي، ولكنني لم استطع التثبت من ذلك.»

فشهقت إيفا، ولكن، قبل أن تقول شيئاً، عاد يقول: «هل هذا ممكن؟ أن تكوني ابنة ليزيت؟»

فنظرت إيفا نحو الباب وكأنها تخاف من أن يكون هناك من يسمع. ثم قالت متوسلة: «أرجوك... لا تقل اكثر من هذا. إنه سر... فلا أحد هنا لديه فكرة... عن ذلك.»

فأخذ الكونت يحدّق إليها، وهو يقول: «هل تعنين بهذا انك إبنة أختي، وأنك مخطوبة إلى اللورد تشارلس، ولكنه لا يعلم أنك ابنة أختي؟»

فاومأت بالايجاب ثم قالت: «أرجوك... أرجوك ألاّ توجه إلي... مزيداً من الأسئلة.»

فابتسم الكونت قائلاً: «وهل تتوقعين مني حقاً ألاّ أكون إنساناً؟ فلا أحدث أحداً عنك بعد أن عثرت عليك؟»

فقالت: «ولكن... يجب ألاّ تفعل هذا... وإذا أخبرتك بالسبب، هل تقسم لي... بشرفك ألاّ تخبر اللورد تشارلس أو... الدوق؟»

فقال: «سأساعدك بكل ما تطلبينه، ولكنني مصر على معرفة القصة بأكملها.»

ثم نظر إلى اللوحة، وقال بهدوء: «وأظن أن أمك تريد منك ذلك.»

فانهالت دموعها وهي تسمعه يتحدث بكل تلك الرقة والحنان، ولكنها مسحتها بسرعة.

فأعادها الكونت إلى بداية المعرض حيث كانت هناك أريكة وعدة كراسي.

جلس على الأريكة، وأشار إليها كي تجلس أمامه، ثم قال: «يجب أن أخبرك، أولاً، بمبلغ ندمي على عدم رؤيتي أمك بعد فرارها مع أبيك.»

«لقد كانت أمي... بالغة الحزن لخسارتها... أسرتها، رغم أنها كانت في غاية السعادة مع... أبي.»

فتابع يقول: «ولكنني، لسوء الحظ لم أكن هنا عندما حدث كل ذلك، لقد كنت أكبر منها بخمس سنوات وكنت في الجيش، وبعد فرارها بوقت قصير، أرسلت مع فرقتي إلى أفريقيا.»

«لقد أخبرتني أمي بكل شيء عنك... وعن أخوتها الآخرين. وهذا هو السبب في ابتهاجي البالغ للحضور لرؤية... القصر.»



فأجاب: «هذا مفهوم. لقد رأيتك، في البداية، جميلة جداً، وقد عرفت الآن سبب إعجابي بك، ذلك لأنك تشبهين أختي الرائعة الجمال.»

ومرة أخرى، أخذت إيفا تمسح دموعها، فقال: «يجب ألاّ تبكي، ولكن أخبريني عما حدث لأبيك ولماذا أنت هنا مع اللورد تشارلس؟»

كان من الصعب عليها أن تتكلم دون أن تبكي، ومسحت دموعها التي كانت تسبب لها الحرج، ثم حدثته كيف مات أبوها بنوبة قلبية، ثم كيف ذهبت إلى ليونايد ليلان لتحضر زر سترة أبيها.

ثم تابعت كلامها فتحدثت عما رتبته تلك المرأة بشأنها لكي تنقذ اللورد تشارلس من اضطراره إلى الزواج من إبنة السيد كارلو وذلك بأن تدعي بأنها خطيبته.

ولم تنتبه إلى أن الكونت قد جمد في مكانه عندما ذكرت إسم ليونايد ليلان.

ولكن، عندما تحدثت عن نية السيد كارلو، هتف قائلاً: «لم أسمع قط بشيء مشين كهذا، كيف يجرؤ كارلو على محاولة ابتزاز اللورد تشارلس لكي يزوجه إبنته؟»

فقالت: «إن هذا يجعلك تدرك كم كان اللورد تشارلس يحاول مذعوراً أن يتجنب ذلك الوضع، وهو ما زال شديد الخوف من ألاّ يدفع له السيد كارلو ما يدين له به من مال.»

فسألها: «أليس لك علاقة أخرى بليونايد ليلان سوى أنها من أصدقاء أبيك؟»

فأجابت: «لقد كانت بالغة الشهامة إذ طلبت بأن يدفع

للورد لي مبلغاً كبيراً ما يعني أن بإمكاني متابعة العيش في ذلك المنزل الرائع الجمال الذي كانت جدتي قد تركته لأمي.»

فقال الكونت باسماً: «بعض أفراد الأسرة ساورتهم خيبة الأمل حين علموا بأن المنزل لم يترك لهم.»

فقالت: «كنت خائفة... من أن يكون هذا... شعورهم، ولكنني أحبه كثيراً... أنا أيضاً، وأريد أن اتمكن من متابعة العيش فيه.»

فقال الكونت: «سنتحدث في هذا الأمر فيما بعد. إنما أريدك الآن أن تعلمي بأننا نرحب بك هنا على الدوام، وأظن أن زوجتي ستثبت بأنها كفء لأن تكون مرافقة لك تحرسك، أفضل من عمتك التي تدعين أنها تعيش معك.»

فنظرت إليه إيفا بعينين متسعتين: «هل تعني... ذلك... حقاً؟»

فأجاب: «طبعاً أعني ذلك.»

«ولكن... أرجوك، يجب ألاَّ تخبر أحداً بشيء، قبل أن يتسلم اللورد تشارلس شيكاً بالمبلغ.»

فقال: «لقد فهمت الآن السبب في رغبته في العودة إلى باريس عند الصباح.»

وعندما أومأت بالإيجاب، قال: «حسناً جداً، يا عزيزتي. يجب أن تعودي معه، وحالما يستقر كل شيء، سنجتمع ونتحدث عن مستقبلك.»

فتمتمت: «إنك رقيق جداً... وبالغ الشهامة. إنني أعرف أن هذا ما كانت أمي تريده لي لو كانت حية. ولكنني لا أريد... أن أثقل عليكم... أكثر... مما أثقل على أقارب أبي.»



فقال باسماً: «يوجد هنا، كما ترين، غرف كثيرة، ويمكنك، بالطبع، استعمال بيتك في باريس متى شئت ما دمت تأخذين معك أحد أفراد أسرتي.» وضحك ثم تابع يقول: «أؤكد لك أنه سيسرهم جداً أن يكونوا ضيوفك، فإن أولادي الكبار متشوقون إلى باريس، وهم يشكون دوماً من عدم وجود أمكنة كافية لهم في منزلي.»

وربت على يد إيفا وهو يتابع قائلاً: «لا تقلقي بهذا الشأن حالياً. فقط أنهي التزامك مع اللورد تشارلس وهو ما أنا مقتنع تماماً به، ثم نتناول الغداء معاً في اليوم التالي لتحررك منه.»

«هل تعني بأنك... لن... تقول شيئاً لأحد... قبل ذلك؟»

«أتعهد لك، بصفتي من آل شابريللين، بأنني لن أخلف وعدي لك. وبما أن دمك هو نفس دمي، فأنا أدرك أنك لا تخلفين وعدك، أنت أيضاً.»

فقالت: «إنني أعرف أن هذا ما كانت أمي ستتوقعه منك، وأشكرك... أشكرك لشهامتك هذه.»

أجاب: «لم تسنح لي فرصة بعد للتصرف بشهامة، ولكنني أشعر بأنني مدين لك بالكثير مما كان على نحو أمك.»

وصدرت عنه آهة عميقة، ثم تابع قوله: «ولكن لا فائدة من الندم، وعذري الوحيد لاهمالي ليزيت في الماضي كان لأن أبي كان رجلاً قاسياً عنيفاً. فهو لم يسامحها قط، وقد بقي سنوات لا يسمح بذكر اسمها في المنزل.»

فقالت: «ولكنك تذكرتها، وأنا واثقة من أنها... سترتاح حيث هي لذلك.»

www.rewity.com

فقال: «أعلم هذا، ولا أريدك أن تظني أبدا بعد الآن، يا ابنة أختي الرائعة الجمال، بانك وحيدة في هذه الحياة، ما يجعلك تنشدين العون من شخص مثل ليونايد ليبلان.»

وكان في لهجته معنى أدركت إيفا منه مقدار عدم رضائه عن السيدة ليبلان.

ظنت أن ذلك ربما عائد إلى كونها تعمل في المسرح، وأنها حسب تعبير أمها، لا تبدو سيدة محترمة.

ولكنها فكرت بأن المرأة تصرفت نحوها بغاية الشهامة وأن عليها أن تعبر لها عن شكرها رغم أنها لا تعرف السبيل إلى ذلك.

ونظر الكونت إلى الساعة الموضوعة على رف المدفأة ثم قال: «أظن علينا العودة الآن إلى الآخرين، كما أن وقت نومك قد حان، هناك الكثير مما أريد معرفته عن أمك، وأنا أتطلع إلى اجتماعنا مرة أخرى ببالغ الشوق.»

فقالت: «وكذلك أنا.»

ووقف الاثنان، ثم انحنى الكونت وقبلها على جبينها وهو يقول: «إنك جميلة جداً، يا عزيزتي، وفي كل مرة سأنظر فيها إليك ساشعر بأن أمك قد عادت إلينا.»

وسارا معاً، وعندما وصلا إلى الباب، قالت: «أرجو أن تتوخى الحذر البالغ مع اللورد تشارلس، والدوق. أنا واثقة من أنهما سيصعقان من عملي هذا إذا هما علما من هو أبي.»



فقال: «سيشعران بذلك طبعاً، وهذا شيء لن يحدث بعد الآن، وحسن أن هذا سينتهي بعد أن يحصل اللورد تشارلس على نقوده.»

فابتسمت له، ثم تابعا السير بصمت إلى الصالون حيث كان الذكور من الحاضرين ما زالوا يلعبون. وكانت بعض النساء قد تركن الصالون.

انسلت إيفا مبتعدة، وعندما أصبحت في غرفتها فكرت أنها لن تقلق الآن بشأن مستقبلها.

وعندما استولى عليها النوم، حلمت بأنها تتحدث إلى أمها.

وانهما جالستان معاً في الصالون تحت ثريا بلورية.

• • •

أخبرت إيفا الخادمة بأن توقظها باكراً.

وكذلك فكرت في أن الأمر سيكون أسرع إذا هي تناولت فطورها في غرفتها.

وكانت قد فرغت لتوّها من ارتداء ملابسها عندما أخبروها بأن اللورد تشارلس في انتظارها، وكانت تفهم رغبته في الإسراع إلى باريس، وبينما كانت تهبط السلم، كان خادمان ينقلان حقيبتها من الغرفة.

وكان في وداعها عدد لاباس به من أفراد أسرة شابريللين.

وقبلتها الكونتس وهي تقول لها: «أرجو أن تأتي إلينا بعد زواجك لتمكثي وزوجك معنا. لقد سررنا جداً بكما، يا عزيزتي.»

فأجابت إيفا: «شكراً يا سيدتي. لقد استمتعت بكل لحظة عندكم.»

وساعدها الكونت على الصعود إلى العربة وهو يقول: «أشعر بأن الوقت لن يطول قبل أن نجتمع مرة أخرى، يا آنسة فينارد.»

وغمز بعينه.

فشعرت ايفا بالسرور لما يتظاهران به أمام اللورد تشارلس.

وهتفت به: «أشكرك. أشكرك لكل شيء.»

وأدركت أنه فهم ما تعنيه.

وعندما تحركت بهما العربة، نظرت إلى الخلف لترى ستة على الأقل من أقربائها يلوّحون لهما بأيديهم.

وحدثت نفسها قائلة، ما ألطفهم. إنني أحبهم جميعاً.

وكان اللورد تشارلس يقود العربة بسرعة أدركت منها بأنه مصمم على الوصول إلى باريس وإنهاء معاملاته المالية مع كارلو.

ولم تستطع مقاومة فضولها، فسألته: «ألن تقول له شيئاً عن... خطوبتنا؟»

فأجاب: «كلا طبعاً، ومن غير المحتمل أن يحصل بينك وبينه أي اتصال، ولكن إذا حدث هذا، فاظهري الوقار وارفضي الإجابة عن أي سؤال يوجه اليك.»

ففكرت إيفا في أن تصرفاً كهذا قد يكون صعباً عليها، ولكنها لم تقل شيئاً، وتابعا السير.

وعندما وصلا إلى بيتها، أسرع يضع حقيبتها في الردهة، ثم عاد إلى العربة يسوقها مبتعداً، وكان قد قال



لها عندما خرجت من العربة: «سأراك فيما بعد هذا النهار.»

ولكنه لم يشكرها ما بدا لها تصرفاً غير لائق. ولكنها كانت تأمل فقط في ألاّ يكون هناك مصاعب أخرى أو ما يعيق استلامه نقوده.

وعند ذلك تستطيع العودة إلى شخصيتها الحقيقية، وكما كان اقترح خالها عليها، يمكنها أن تمكث معهم في القصر.

وجعلتها هذه الفكرة تهم بالرقص والغناء، وركضت صاعدة السلم لتغير ثيابها وكأن لها جناحين.

وعندما عادت تهبط السلم، كانت ترتدي ثوباً كانت جوسيه قد جعلته ملائماً، بأناقته، لباريس، عند ذلك، فكرت في أن عليها أن تقوم بزيارة السيدة ليونايد ليبلان لتخبرها بأن كل شيء سائر على ما يرام.

ذلك أن ليونايد كانت تعرف أباها، ولا أحد سواها يمكنه أن يفهم ما يعني لها أن تكون ضمن أسرة شابريللين.

وحدثت نفسها بأن عليها أن تخبرها حالاً، ولكنها ما لبثت أن تذكرت أن عليها ألاّ تسير في الشوارع دون أن يرافقها أحد.

ولكنها عندما سألت عن الخادمة ماري، قيل لها إنها في السوق.

وكانت تعرف أن هنري يتألم من الروماتزم ولا يستطيع السير إلا ببطء شديد.

وعلى كل حال، فهو لن يسر بترك المنزل.

وتساءلت عما سيحصل لو أنها ذهبت وحدها هذه المرة فقط.

وأسرعت بالخروج، ولأنها كانت مركزة ذهنها على المكان الذي تقصد إليه، لم تلاحظ ما إذا كان قد رآها أحد.

وعندما وصلت إلى منزل ليونايد ليبلان، كان وقت الغداء قد حان.

ولما كانت قد ابتدأت تشعر بالجوع، فكرت في أن السيدة ليبلان قد تعرض عليها شيئاً تأكله.

وعندما فتح الخادم الباب، ابتسم لها وقال: «صباح الخير، يا آنسة. إذا أردت رؤية السيدة، فهي جالسة في غرفتها.»

فأجابت وهي تركض صاعدة السلم: «إنني متلهفة لرؤيتها.»

هتفت ليونايد لرؤيتها: «يا عزيزتي، كم أنا مسرورة برؤيتك. لقد كنت اتساءل عما حدث وعما إذا كنت ستعلمينني ما إذا كان كل شيء قد تم بناءً على الخطة الموضوعة.»

فأجابت إيفا: «ليس تماماً، إنما كل شيء حسن.»

وجلست على الكرسي أمامها، ثم أخبرت ليونايد ليبلان بكل ما حدث، بالضبط.

استمعت هذه دون ان تتكلم حتى انتهت إيفا من كلامها، عندئذ قالت: «هذا شيء غير عادي، إنه أشبه بالحكايات الخرافية.»

فقالت إيفا: «وهذا هو رأيي أنا أيضاً.»



«لشد ما أنت محظوظة بأن الكونت هو خالك، إن الكونتس ستكون مرافقتك الآن وستجد لك زوجاً مناسباً.»

فأجابت إيفا: «لا أنوي الزواج، في الوقت الحاضر على الأقل، وفقط عندما أجد شخصاً رائعاً ومسلياً مثل أبي.»

فتنهدت السيدة ليبلان، ثم قالت: «وأسفاه، ولكن الرجال الذين مثله هم قليلون، ولكنك الآن في أمان، ولن يجرؤ احد على اهانتك وهم يعلمون أنك في حماية أسرة شابريللين.»

فاعترضت إيفا قائلة: «لا اتصور أن ثمة من يفكر بإهانتي، ربما باستثناء الدوق والذي هو في غاية الفضول وكذلك على شيء من العداء كما أظن.»

فقالت ليونايد ليبلان: «سامحيه، إنه سيعود إلى انكلترا، بينما ستبقين أنت في فرنسا ولن تعودي إلى رؤيته أو رؤية اللورد تشارلس بعد ذلك.»

قالت إيفا: «إن تشارلس شاكر لك جداً إنقاذك له، وأنا واثقة من أنه ما كان بوسعه أن يتصرف بهذه المهارة وحده.»

فقالت ليونايد: «إن ما تقولينه حقيقة هو أنه ما كان ليجد فتاة مثلك، والآن، عليك أن تنسي هذه المغامرة الصغيرة، ولا تحدثي أي شخص عنها عدا خالك.»

فقالت إيفا: «كلا... كلا بالطبع.»

وقرع الباب، وجاء صوت الخادم يسأل: «هل تريدين غداءك، يا سيدتي؟»

فأجابت السيدة ليبلان: «نعم، حالاً، وستشاركني فيه الآنسة فينارد.»

ونظرت إلى إيفا، وأضافت: «أظن لم يدعك أحد لتناول الغداء.»

فأجابت إيفا ضاحكة: «لا أحد.»

«إذن، فسنأكل معاً وبعد ذلك يجب أن نودع بعضنا البعض، فأنت تدركين أنه يجب عليك ألا تخبري أحداً بأنك تعرفينني.»

«لقد أخبرت خالي.»

«أظنه اصيب بصدمة، حتى ولو لم يظهر ذلك.»

وفكرت إيفا بأن من المحتمل أن يكون هذا صحيحاً، ولكنها ما زالت لم تفهم السبب، فقالت: «سأتذكر دوماً مبلغ لطفك وشهامتك. ومع انك قلت إنني يجب ألاّ أراك مرة أخرى، أظن أبي، لو كان موجوداً لطلب مني أن احبك وأن اكون دوماً شاكرة لك جداً لأنني بسببك عثرت على خالي.»

فقالت ليونايد: «لقد سبق واخبرتك أنها من حكايات الخيال. والآن، كل ما عليك هو أن تعيشي بسعادة، كما تنتهي عادة تلك الحكايات.»

وضحكتا، واخذتا تتحدثان وهما تتناولان غداء لذيذاً للغاية أحضره لهما الخادم إلى الغرفة.

وعندما انتهى الغداء، ودعتها إيفا وهي تقول: «أتمنى لو أن عندي ما استطيع تقديمه لك، هل تحبين شيئاً معيناً؟»

ونظرت حولها إلى الأزهار التي تملأ الغرفة، وتذكرت



القطع الفنية التي تملأ الصالون، فأضافت: «يبدو أن لديك كل شيء.»

فقالت ليونايد: «إن ما أحبه هو أن ترسلي إليّ أحياناً نبذات قصيرة من اخبارك. اعلان زواجك مثلاً، بطاقة زواجك إذا حدث هذا، وطبعاً، صوراً لك، ولأسرتك فيما بعد.»

فهتفت إيفا: «طبعاً سأرسل إليك تلك الأشياء، وكل مرة أرسلها إليك بالبريد، سأتذكر كل ما حدث بسببك.»

ففتحت ليونايد ليبلان ذراعيها: «الوداع يا صديقتي الصغيرة البالغة الجمال والحلاوة، لا تنسي أن عليك ألاّ تخبري أحداً أبداً انك زرتني في منزلي هنا، ولكن تمني لي التوفيق والسعادة.»

فقالت إيفا: «انك تعلمين أنني سافعل ذلك.» ثم قبلتها بمودة صادقة، وعندما وصلت إلى الباب استدارت وأخذت تلوّح لها بيدها.

عند ذلك رأت في ملامح ليونايد لهفة وكآبة، ونظرت لآخر مرة إلى زهور الأوركيد التي تملأ الردهة. وكذلك لمحت أشياء كثيرة من خلال باب الصالون المفتوح.

وما لبث الخادم أن فتح لها الباب لتخرج، فنزلت إلى الشارع.

أسرعت إلى منزلها إذ كانت تعلم أن من الخطأ أن تتباطأ أمام واجهات المتاجر.

وعندما فتح هنري لها الباب، قالت: «ها قد عدت، يا هنري. هل جاء أحد؟»

«كلا، يا آنسة.»

فركضت صاعدة السلم لتخلع قبعتها، وهي تفكر في اللورد تشارلس آملة أن تسير أحواله على ما يرام مع السيد كارلو، وإلا، فسيكون عليها أن تستمر في التظاهر بأنها خطيبته، وهذا يعني أنه لن يكون بإمكانها تناول طعام الغداء مع خالها غداً.

فكرت في أن اللورد تشارلس كان عليه أن يخبرها بما حدث هذه الأثناء، إلا إذا كان كارلو قد تركه، مرة أخرى في الانتظار.

اتجهت إلى الصالون الذي بدا صغيراً جداً بالمقارنة مع ذلك الصالون في القصر، ولكنهما كانا متشابهين جداً.

وقد أدركت مما قاله خالها، أن جدتها هي التي جعلت القصر بهذا الجمال، ولا بد أنه كان لها ذوق رائع.

وكانت إيفا تقف امام بعض التحف الصينية تتأملها، عندما سمعت الباب يفتح، فاستدارت بلهفة ظانة أنه اللورد تشارلس.

ولكن الدهشة تملكتها وهي ترى الماركيز دي سواسون يدخل الغرفة.

نظرت إليه غير مصدقة، قبل أن تسأله: «لماذا... أنت هنا؟ ماذا تريد؟»

فابتسم ثم قال: «سأجيبك عن أول سؤال، والذي هو أنني رأيتك بالصدفة خارجة من منزل معين والذي هو بالطبع، أشهر بيت في الشارع.»

فحدقت إيفا إليه وهي تفكر كم تكرهه، كما أنها أدركت



من لهجة صوته أنه يظن نفسه بالغ المهارة لاكتشافه هذا عنها.

وتابع يقول: «لقد تبعتك إلى هنا. والآن، يا آنسة إيفا فينارد، يمكننا أن نتصارح بكل شيء، وعليك أن تتوقفي عن خداعي، مهما كان من مهارتك في خداع اللورد تشارلس.»

فأجابت: «لا أدري... ماذا تعني بهذا، وحيث أن عمتي التي ترافقني، هي في فراشها في الطابق العلوي، فأنا اطلب منك يا سيدي أن تغادر في الحال.»

فضحك الماركيز قائلاً: «إذن، فهذه هي لعبتك الصغيرة، حسناً يا عزيزتي، وحيث أنك صديقة ليونايد ليبلان، فأنا أؤكد لك بأنك لن تستطيعي الاستمرار بالتظاهر بأنك تلك الفتاة المراهقة البريئة.»

«لقد طلبت منك المغادرة، يا سيدي.»

«لن أذهب قبل أن تسمعي ما سأقوله.»

فقالت: «لا أتصور انك ستقول شيئاً أرغب في سماعه. وأنا لا أطلب منك إلا أن تتصرف كرجل مهذب حسن الأخلاق، فتتركني بمفردي.»

فجلس الماركيز على الأريكة، وقال: «والآن، كفي عن ألاعيبك هذه، ودعيني اخبرك بالضبط عما أشعر به. إنني معجب بك وأريدك.»

فأجابت: «لا أدري... ما الذي... تعنيه.»

كانت في الواقع، تقول الحقيقة، ولكنها، مع هذا، كانت خائفة.

فقد كان هناك شيء غريب في طريقة حديث

الماركيز، كما أنها أحست من التعبير الذي بدا في عينيه، أنه خطر.

ولم تعرف ما يمكنها عمله بهذا الشأن.

لقد كانت تعلم أن هنري لا بد قد عاد الآن إلى المطبخ.

ولكن، حتى لو طلبت منه المساعدة على طرد الماركيز من المنزل، فهو رجل عجوز غير قادر على الوقوف في وجه رجل كالماركيز.

وأخذت تتساءل برعب عما يمكنها عمله، وعندما رأى الماركيز ترددها، قال: «تعالي واجلسي كفتاة عاقلة، واسمعي ما سأقوله لك.»

وحيث لم يكن أمامها غير ذلك، امتثلت إلى طلبه هذا منها ولكنها سارت إلى أبعد كرسي عنه. ولكن عندما أشار بيده إلى الأريكة التي كان جالساً عليها، رأت أنها إذا لم تطعه، فسيبدو هذا منها عملاً صبيانياً.

وهكذا جلست على الأريكة مبتعدة عنه قدر إمكانها، اسند ظهره إلى الخلف بكل راحة باسطاً ذراعه على مسند الأريكة.

قال: «انك جميلة بشكل غير معقول، وفي الواقع، عندما رأيتك لأول مرة، ظننتك غير حقيقية، وإنما صورة من خيالي.»

فلم تجب إيفا، بينما تابع يقول: «لا اظنك في باريس منذ وقت طويل وإلا لعرفتك قبل اللورد تشارلس، وعلى كل حال، اعتقد انه أول رجل في حياتك، فأنا أريد أن اكون الثاني.»



فقالت: «أنا... أنا مخطوبة للورد تشارلس... وسنتزوج.»

فضحك الماركيز، وكانت ضحكته كريهة للغاية.

«هذا ما سمعته من كارلو، ولكنني، بصراحة، لم أصدق كلمة منه.»

فنظرت إليه بذعر.

لا بد أنه أزعج السيد كارلو بقوله انهما، هي واللورد تشارلس، غير مخطوبين.

وربما هذا هو السبب في أن اللورد تشارلس لم يحضر إليها الشيك كما وعدها، لأن الخطة بأكملها قد انهارت.

وتملكها الرعب لهذه الفكرة، فقالت: «انك طبعاً، لم تقل شيئاً... غير صحيح... كهذا، للسيد كارلو؟»

فأجاب: «في الواقع، لم أفعل هذا.»

فتنهدت إيفا بارتياح، بينما تابع هو يقول: «ولكنني أخذت اراقبكما أنت واللورد تشارلس معاً، فبدا لي أن أمركما يدعو إلى الريبة، هذا إلى كيفية جعل نفسك مدعوة إلى قصر الكونت شابريللين.»

فقالت: «لا أدري ما الذي يدعوك إلى الظن بأن هناك... ما يريب في خطبتنا.»

فأجاب: «لقد أدركت أنني على حق، يا جميلتي، خصوصاً الآن بعد أن رأيتك خارجة من منزل ليونايد ليبلان. والآن اخبريني بالضبط ما هي لعبتك؟ أما رأيي فهو انك تريدين الحصان الخطأ.»

فأبدت إيفا إشارة طفيفة بيدها، وقالت: «ما تقوله هو غير مفهوم... اطلاقاً.»

فقال: «هذا هراء، فأنت تفهمين كل كلمة منه. انك تظنين تشارلس غنياً ولهذا تلاحقينه، ولأنه شاب طائش، فقد وعدك بالزواج.»

وألقى عليها نظرة ماكرة، ثم تابع يقول: «انك لن تتزوجيه. كوني واثقة من أن ذلك سيحدث عندما يعلم أخوه حقيقتك. فالأفضل لك إذن أن تدعيه وشأنه.»

فشعرت بالإرتباك لقوله هذا وطريقة كلامه. وقبل أن تطلب منه مرة أخرى، أن يغادر المنزل، قال: «انني الآن اقدم اليك اقتراحاً أفضل بكثير. إنني رجل غني جداً، وأنا في منتهى الكرم، أظن هذا المنزل بالأجرة، ولكنني سامنحك منزلاً يكون ملكك، وعربة بجوادين وكل المجوهرات التي يمكنك أن تزيني بها عنقك الجميل. ما قولك بهذا؟»

كان يتكلم بطريقة الترغيب وكأنه يظن أنها لن تستطيع مقاومة المال. ولكنها قالت: «أرى... يا سيدي... انك تهينني.»

فضحك قائلاً: «انك تعلمين كما أعلم أن من الصعب أن تجدي من يقدم إليك عرضاً أفضل من هذا إلا إذا كنت ليونايد. هيا، ودعي عنك هذا التمثيل.»

قالت له: «انك رجل بلا أخلاق... متوحش، وأنا أرفض سماع المزيد مما تقوله.»

وكانت تتكلم بذعر وقد تملكها خوف بالغ.

وأدركت وهي تراه يقف، كم هو ضخم وقوي، فتراجعت عنه خطوة وهي تقول: «دعني... وحدي.»

فأجاب: «هذا ما ليس في نيتي القيام به... ودعيني



اخبرك بأنني أحب الطيور الصغيرة التي ترفرف باجنحتها تتحداني، فهذا يعجبني جداً.»

واندفع نحوها.

ولكنها عادت تتراجع إلى الخلف وإذا بكرسي خلفها يعترض طريقها ما جعل من المستحيل عليها الحركة أبعد من ذلك.

وصرخت بعنف، محاولة أن تهرب منه.

وعندما شعرت به يقترب منها، تصاعد صراخها مرة أخرى.

## الفصل السادس

لم يودع الدوق إيفا واللورد تشارلس، وذلك لسبب بسيط وهو أنه كان قد سبق وغادر القصر.

فقد كان لديه في باريس موعد هام.

واجتاز الريف ممتطياً صهوة جواد من أفضل ما يمتلكه الكونت، وذلك بعد أن أرسل أمتعته وخادمه بواسطة الطريق العام.

وعندما وصل إلى منزل الكونت القائم قرب الغابة في باريس، إغتسل وغير ملابسه.

وبعد أن تناول فطوراً إنكليزياً دسماً، غادر المنزل إلى موعده مع الامبراطور.

كان لديه رسالة من البرنس أوف وايلز إلى الامبراطور لويس نابليون وكذلك إلى رئيس الوزراء.

وجلس الدوق يتحدث إلى الامبراطور قرابة النصف ساعة إذ أنهما كانا صديقين قديمين.

وعاد الدوق إلى منزل الكونت حيث جلس إلى مكتب وأخذ يحرر رسالة. عندئذ، إندفع أخوه داخلاً إلى الغرفة وهو يهتف:

«والآن، لم تعد هناك مشاكل.»

فابتسم الدوق: «أظنك كنت خائفاً من ألا يدفع لك كارلو نقودك.»

فوضع اللورد تشارلس الشيك على المكتب أمام



أخيه. ورأى الدوق أنه بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه.

فقال: «لا عجب ان كنت قلقاً. كم يحق لك من هذا المبلغ؟»

فأجاب تشارلس: «حوالي التسعة آلاف جنيه.»

«وهل هي تكفي لسداد ديونك كلها؟»

«المستعجلة منها. وسيبقى منها الكثير.»

فسكت الدوق برهة، فنظر إليه تشارلس متسائلاً.

ثم قال: «سأسدد لك بقية الديون.»

فحملق تشارلس إليه، ثم سأله: «أتعني ذلك حقاً؟»

«نعم، إنما بشرط طبعاً.»

فسأله أخوه بقلق: «وما هو؟»

«هو أن تغادر باريس إلى لندن في الحال.»

«لماذا؟»

فأجاب الدوق: «أظن هذا واضحاً جداً. إن صديقتك ليونايد ليلان ستحتاج إلى شيء من هذه النقود. وأنا بصراحة، لا يمكنني الإنفاق على سكان باريس.»

فقال تشارلس بلهجة دفاعية: «الحقيقة أن ليونايد لم تطلب فرنكاً واحداً.»

«إنك محظوظ إذن، ولكنها إذا رأت هذا المبلغ فلا شك أنها ستطلب هدية.»

فقال تشارلس: «أظنك على حق. كما أنني مدين لها بأجرة إيفا.»

فجمد الدوق في مكانه، ثم قال: «ماذا تعني بذلك؟»

فقال تشارلس: «كنت سأخبرك بعد أن يدفع لي كارلو المبلغ. لقد كنت سمعت بأنه سيبتزني للزواج من ابنته.»

فهتف الدوق: «يا له من دنيء. وكيف يمكنك أن تقوم بشيء كهذا؟»

فرد عليه تشارلس: «إنه شيء لم أنو القيام به. ولكن لو كنت رفضت، لكان هددني بعدم دفع المال الذي سبق وأنفقته على شراء الجياد له.»

فقال الدوق: «لم أسمع من قبل بشيء معيب كهذا. فهو أجنبي دخيل تماماً.»

فقال تشارلس موافقاً: «أعلم ذلك. ولكن كان عليّ أن أهزمه بمثل عمله. فكان أن أحضرت لي ليونايد إيفا.»

فلم يتكلم الدوق بينما تابع تشارلس ضاحكاً: «قد لا تصدّق أنها جعلتني أقسم بشرفي بأن أترك الفتاة كما استلمتها بالضبط.»

فسأله الدوق: «ماذا كانت تعني بذلك.»

فأجاب تشارلس: «كانت تعني كما قالت حرفياً. نقية، بريئة.»

فرفع الدوق حاجبيه، بينما عاد أخوه يقول: «لقد حفظت عهدي ووعدت ليونايد بأن أدفع لإيفا خمسمائة جنيه.»

وتوقع أن يدلي أخوه ببعض التعليقات، ولكن الدوق لم يفعل سوى أن أخرج من محفظته دفتر الشيكات وهو يقول: «سأصرف أنا شيك كارلو حالاً من المصرف الذي أتعامل معه في باريس وستأخذ أنت هذا الشيك مني بنفس المبلغ فتصرفه من لندن.»

فسأله: «وإيفا؟»



فأجاب: «سأتولى أنا أمرها. وسأرسل أيضاً إلى ليونايد ليلان هدية تعجبها باسمك.»

فهتف تشارلس: «ما ألطفك يا أخي. ثم هل ستدفع ديوني حقاً؟»

فأجاب الدوق: «لقد قلت لك إنني سأدفعها ولكن حاول أن تكون أكثر اتزاناً في المستقبل. ويمكنك أن تتصور عجبي وأنا أتساءل عنك كيف ستتمكن من إعالة زوجة.»

فضحك اللورد تشارلس، وقال: «ستعلم أن هذا غير ممكن إلا إذا كان يسعدنا أن نعيش في خيمة على الحصيرة.»

فقال الدوق بلهجة تنبيء بالارتياح: «هذا ليس ضرورياً على كل حال.»

فابتدأ تشارلس يقول: «إن عليّ أن أشكرك...»

ولكن الدوق نظر إلى ساعته وهو يقول: «إذا أنت لم تدرك قطار الساعة الواحدة إلى كاليه، فقد أغيّر رأيي.»

فهتف تشارلس بذعر وهو يضحك: «بل سأدرك ذلك القطار.»

فقال الدوق: «ولكن عليك أن تعطيني، قبل رحيلك، عنوان إيفا فينارد.»

وبعد أن أعطاه تشارلس عنوانها، قال الدوق: «دعني أقدم لك نصيحة وهي، إياك أن تخبر أحداً بما حدث مهما كان السبب. فهذا سيكون غلطة كبيرة.»

فقال تشارلس: «ولكنني أحب أن أتباهى بكيفية خداعي لكارلو.»

فقال الدوق: «إنني أتصور أنه رجل بالغ الحقد محب

للانتقام. والمال يفعل أكثر من الضحك، وستندم كثيراً لو فعلت.»

فقال تشارلس موافقاً: «معك حق، معك حق طبعاً. ولكنني انتصرت عليه حقاً.»

فنصحه الدوق قائلاً: «إذن، فليكن ذلك بينك وبين نفسك.»

وعندما خرج تشارلس من الغرفة، سمعه الدوق يصرخ طالباً العربة التي كان قد سافر بها إلى الريف. فقال يحدث نفسه وهو يبتسم: «إنه شخص لا سبيل إلى إصلاحه.»

لقد كان يدرك أكثر من تشارلس، أن كارلو رجل لا يستخف به.

ثم ركب على الفور قاصداً المصرف القائم في شارع دي لابيه والذي له علاقة بالمصرف الذي يتعامل معه في لندن، حيث صرف الشيك محوّلاً مبلغ تسعة آلاف جنيه باسم أخيه، ثم سحب مبلغ خمسمائة جنيه بالفرنكات.

ثم اتجه نحو ناديه.

وبعد أن تناول غداء خفيفاً، اتجه بنفس العربة، والتي تعود إلى الكونت، اتجه بها إلى شارع سانت أونور حيث تسكن إيفا.

وفتح له الباب خادم عجوز.

وما أن دخل الدوق إلى الردهة، حتى سمع صراخ إيفا.

ودون أن ينتظر الخادم هنري الذي كان يتحرك ببطء كالعادة، اندفع بسرعة إلى باب الصالون ثم دخل.



وبنظرة واحدة، رأى إيفا تعارك الماركيز دي سواشون باستماتة.

ولم يلحظ أيٌ منهما دخول أحد إلى الغرفة.

ولكن ما أن أطلقت إيفا صرخة أخرى مذعورة كحيوان وقع في فخ، حتى ابتدأ الدوق العمل.

قفز نحوهما، ثم أمسك الماركيز بياقته من الخلف يبعده عن إيفا، وهو يسأله: «ما هذا الذي تفعله؟»

فنظر الاثنان، إيفا والماركيز، إليه بذهول بالغ.

ثم، إذا بإيفا تبكي وهي تقول له: «أنقذني... أنقذني.»

وخلص الماركيز نفسه من قبضة الدوق: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟ وما علاقتك بهذا الأمر، يا كينكريغ؟»

فقال له الدوق بحدة: «أخرج من هنا.»

فتوهج وجه الماركيز، وأجاب: «لا أريد الخروج من هنا.»

فقال الدوق: «قلت لك أن تخرج.»

فسأله الماركيز بلهجة عدائية: «وإذا أنا رفضت؟»

فقال الدوق ببرود: «إذن فسأستعمل القوة في طردك.»

ولأنه لم يرفع صوته، فقد كان تهديده أكثر فعالية مما لو كان استعمل الصراخ.

لقد كان أطول من الماركيز قامة بكثير.

كما كان في عينيه نظرة جعلت الكثيرين يرتعدون خوفاً أمامه.

واستدار الماركيز على عقبيه وهو يتمتم شاتماً، ليخرج بعد ذلك من الصالون صافقاً الباب خلفه بعنف.

www.cavity.com

ولم ينظر الدوق إليه وهو يخرج، وإنما أخذ ينظر إلى إيفا التي كانت ترتعش وساعدها على الجلوس، على الأريكة برفق.

كانت بالغة الشحوب، ورأى الصدمة مرتسمة على وجهها.

قال لها: «لا بأس عليك، فقد ذهب الماركيز، ولا أظنه سيعود ثانياً.»

فقالت وهي ترتجف: «ولكن... ماذا لو عاد؟»

فالقى الدوق نظرة في أنحاء الغرفة، وسألها: «هل تعيشين هنا وحدك؟»

ولتشتت ذهنها واضطرابه لما حدث، أخبرته بالحقيقة: «نعم...»

فبدت عليه الدهشة، وسألها: «ولمن هذا المنزل؟»

«إنه... منزلي.»

فازدادت دهشة الدوق، وعاد ينظر إلى الاثاث الاثري الرائع الجمال.

وسألته إيفا بصوت خافت: «كيف أمكنك... الحضور في... اللحظة المناسبة؟ ثم إنقاذي؟»

فأخرج الدوق رزمة الأوراق المالية التي كان أحضرها من المصرف، ثم ناولها إياها، وهو يقول: «لقد أحضرت لك هذه من أخي، إنها الخمسمائة جنيه التي كان وعدك بها.»

«إذن، فقد أعطاه السيد كارلو الشيك.»

فأجاب: «نعم، هذا صحيح.»

فأخذت إيفا تحدق في الرزمة التي أمامها دون أن



تمسها، ثم قالت: «أرجوك... هل لك بأن تعيدها إلى اللورد تشارلس؟ أنا... لا... أريدها.»

فقال: «ولكنها أجرك لعمل قمت به.»

«إنني مسرورة إذ لم أقترف... أي خطأ... ولكنها لم تعد ضرورية الآن... وأنا أفضل أن لا آخذ نقوداً أجراً لعمل... كالذي قمت به.»

فبانت الحيرة على وجه الدوق.

ثم قال: «أتعنين أنك غنية إلى حدّ ترفضين معه مبلغاً ضخماً كهذا، أم أن هناك خطيباً مزعوماً آخر في حياتك؟»

فأجابت: «كلا. كلا بالطبع. ولكنني أردت المال لأستطيع العيش هنا في هذا المنزل الجميل... ولكن أصبح بإمكاني الذهاب الآن إلى القصر.»

فحملق الدوق فيها: «القصر؟ أتعنين المكان الذي كنا فيه الليلة الماضية؟»

فأومأت بالايجاب.

وساد الصمت إلى أن سألها الدوق: «هل يعلم الكونت بأنك صديقة ليونايد ليبلان؟»

فأجابت: «لقد أخبرته بأنني ذهبت إليها لأنها كانت صديقة لأبي... ولكنه قال لي... بأن لا أخبر أحداً... عن ذلك.»

«كانت صديقة لأبيك؟» قال الدوق هذا وكأنه كان يحاول أن يفهم.

فصدرت عن إيفا شهقة خافتة: «لقد مات أبي... في بيتها عندما كنا نعيش هنا... وربما تظنه خطأ بالغاً

أن... وافقت على مساعدة اللورد تشارلس... ولكنني، بعد أن دفعت نفقات جنازة أبي... لم يبق عندي ما يكفي من المال.»

وإذ كانت تتكلم عن أبيها، فاضت عيناها بالدمع وتهدج صوتها.

وشعرت بأن عليها أن تجعل الدوق يفهم ما حدث، فقالت: «كنت أعلم أنني إذا أنا اكتسبت خمسمائة جنيهاً، فستكفيني وقتاً طويلاً. وأدفع أجرة الخادمين، ولكنني كنت أكذب، بالطبع، ولو كانت أمي موجودة لصعقت... حتى ولو كنت بذلك أساعد اللورد تشارلس.»

فقال الدوق بصوت رقيق: «لقد ابتدأت أتفهم متاعبك. ولكنني لم أفهم تماماً السبب في أن الكونت طلب منك العيش مع أسرته.»

فخفضت إيفا نظراتها وهي تقول: «إنك... عندما تعرفت إلي... لم تعرف إسمي... الحقيقي.»

«أتعنين أن اسمك ليس إيفا فينارد؟»

«كـ... كلا.»

«ما اسمك الحقيقي، إذن؟»

«لقد كان أبي هو... السير ريتشارد هيلينغتون.»

فأجفل الدوق: «هيلينغتون؟ لا يمكنني تصديق هذا.»

«بل هذا صحيح. وقد جئنا إلى باريس لأن أمي كانت ورثت هذا البيت الجميل... من أمها... التي كانت الكونتيس دي شابريللين.»

فصدرت عن الدوق شهقة طويلة.

«وكيف أمكنك إذن أن تقومي بحماقة كهذه فتمكثي هنا



وحدك بعد، وفاة أبيك، ثم تدعي الطيش يدفعك إلى الادعاء بأنك خطيبة أخي؟»

فلم تجب إيفا، وتابع الدوق يقول: «لا بد لك إذن من العودة إلى انكلترا حيث أظن لديك الكثير من الأقرباء.»

فأجابت: «لدي أقرباء كثيرون. ولكنني أظنهم لم يرضوا بأمي... أكثر مما رضي آل شابريللين بأبي... عندما هربت معه.»

فقال الدوق: «لقد تذكرت الآن ما كنت سمعته من أن أباك، والذي كنت كثيراً ما ألتقيه في ميدان الخيل، قد أثار الكثير من اللغط والأقاويل في شبابه.»

فقالت: «لقد فرّ أمي وأبي معاً، وكانت هي مخطوبة لرجل... فرنسي... كان آل شابريللين قد اختاروه لها.»

فقال الدوق: «من الواضح أن قيامها بهذا الأمر كان شجاعةً خارقة منها.»

فشبكت يديها معاً وهي تقول: «شكراً لك لهذا القول. لقد كانت أمي سعيدة جداً مع أبي رغم شعورها الدائم بالحزن لمقاطعة أهلها لها.»

فقال: «وها أنت ذي الآن تريدين الذهاب للعيش معهم. فهل تظنين أن هذا سيسعدك؟»

«إنهم في غاية اللطف والرقة، وأظن أن القصر هو أجمل مكان رأيته في حياتي.»

فقال الدوق موافقاً: «وهذا هو رأيي أنا أيضاً ما عدا أنني أفضل منزلي.»

فسألته: «وهل منزلك رائع؟»

فأجاب: «جداً.»

وسمعا صوت حركة في الخارج، فأجفلت إيفا. ومرة أخرى، عاد الرعب إلى عينيها.

ثم قالت: «هناك... هناك شخص هنا. ألا تظن... ألا تتصور أن...»

فقال: «دعي الأمر لي.»

ونهض عن الأريكة ثم غادر الغرفة إلى حيث أغلق الباب، وسمعت إيفا صوته يتكلم ولكنها لم تسمع ما قاله.

لقد تملكها الذعر لما صدر من الماركيز نحوها، وفجأة شعرت بالإرهاق.

وما لبثت، عندما لم يعد الدوق إليها، أن شعرت بالذعر خوفاً من أن يكون قد خرج وتركها.

فإذا كان قد فعل ذلك حقاً، وعاد الماركيز، فإنها لن تستطيع النجاة منه هذه المرة.

وأرادت أن تركض صاعدة إلى غرفتها، وتقفل الباب على نفسها.

ولكن كان من الصعب عليها أن تترك الأريكة، كان بإمكانها فقط أن تمكث حيث هي وتغمض عينيها.

وشعرت لحظة برأسها يدور، وشعرت بنفسها تغوص في هوّة لا قرار لها.

ولكن الدوق عاد إلى الغرفة حيث اتجه إلى الأريكة ونظر إليها لحظة قبل أن يقول بهدوء.

«كل شيء على ما يرام، والحركة تلك كانت من خادمك. لقد أعطيته تعليمات بعدم إدخال أحد إلى المنزل.»



وعندما لم تجب إيفا، أدرك الدوق أنها على حافة الإنهيار. فقال برقة: «إستمعي إليّ، يا إيفا.»

ففتحت عينيها بجهد.

قال: «أريدك أن تنامي وسآتي إليك في الساعة الثامنة. ثم آخذك معي إلى حيث نتناول العشاء.»

فابتسمت له بضعف، بينما ساعدها هو إلى الصعود إلى الطابق الأعلى.

وعلى قمة السلم، قال لها: «عليك أن تريني باب غرفتك.»

ولم تتكلم إيفا وإنما أبدت إشارة ضعيفة من يدها، ففتح هو الباب.

كانت غرفة واسعة بدا واضحاً أن جدتها كانت تستعملها.

وكانت مؤثثة بنفس الجمال الذي أثث به الصالون، كما كان هناك نموذج مصغر لقصر آل شابريللين قائماً على رف المدفأة.

وكان هنالك أيضاً لوحة تضم صورة للكونتيس في شبابها.

وكان ثمة شبه بينها وبين إيفا في تناسق القسمات ولون العينين.

قال الدوق: «نامي الآن، وسأخبر خادميك بأن يوقظاك الساعة السابعة.»

فأخذت تتمتم ما فهم منه الموافقة.

خرج الدوق من الغرفة مغلقاً الباب خلفه بهدوء، لينزل، بعد ذلك إلى الطابق الأسفل يبحث عن الخادمين، وجد هنري وماري في المطبخ، وقد وقفا لدى رؤيته. فألقى إليهما بأوامره بوضوح وإيجاز تجنباً لأي التباس.

ثم خرج بعد أن وضع جنيهين ذهبيين على المائدة، محملاً بشكر هنري المفرط وهو يفتح له الباب الخارجي «شكرك جداً. ألف شكر يا سيدي.»

فقال الدوق بفرنسية ممتازة: «هل فهمت الآن؟ إياك أن تسمح لأحد بدخول هذا المنزل ما عداي.»

فأجاب هنري: «نعم، نعم يا سيدي.»

وصعد الدوق إلى العربة التي كانت بانتظاره، ثم اتجه نحو شارع أوفمان حيث منزل ليونايد ليبلان.

فقد كانت الحكاية التي سمعها من إيفا، من التعقيد بحيث بدت بعيدة عن التصديق.

وكان يريد إثباتاً لكل ما قيل له.

وليونايد ليبلان هي وحدها من تملك الحقيقة.

وعندما وصل، أخبره الخادم بأنها وصلت لتوها من حفلة غداء وهي الآن وحدها في الصالون.

فأبلغه الدوق بإسمه، ثم طلب منه إبلاغها بقدومه.

كانت ترتدي ثوباً قرمزياً من تصميم وورث، صدره مؤلف من كشاكش فوق بعضها البعض ذات حواشي مخملية، ودانتيل وزهرات حريرية.

ورأى الدوق حول عنقها عقداً من اللؤلؤ يساوي في نظره المال الكثير.

كما كان قرطاها مؤلفين من ماستين بحجم حبة الزيتون.

وعندما أعلن الخادم اسمه، بدت الدهشة على وجه ليونايد.

ثم تقدمت نحوه برشاقة اشتهرت بها، وهي تسأل: «أهو



حقاً شقيق تشارلس المخيف؟ طالما تشوقت إلى التعرف إليك، يا سيدي.»

فأجاب الدوق: «ها قد تحقق أملك هذا، الآن، وذلك لسبب بسيط وهو أنني بحاجة إلى عونك.»

فصدرت عنها آهة ذعر: «أرجو ألاّ يكون أخوك في ورطة. ألم يدفع له كارلو نقوده؟»

فقال الدوق: «بلى، وقد استلم المبلغ.»

فقالت: «إذن، أرجوك يا سيدي أن تجلس وتخبرني بكل شيء عن ذلك. لقد كنت قلقة من أن يفسد كل شيء في آخر لحظة.»

فجلس الدوق واضعاً ساقاً على ساق بكل راحة، ثم قال: «إنني شاكر لك جداً لاهتمامك البالغ بتشارلس وإنقاذه، كما فهمت، من وضع ربما كان كارثة.»

«ذلك لأنني لم أتصور أن سيادتك يمكن أن ترضى بابنة كارلو زوجة لأخيك.»

فقال: «إنه شيء لا يمكن أن يعجبني أبداً. وقد طلب مني أخي أن أقدم إليك بالغ الشكر لإنقاذه.»

فقالت وهي تبتسم: «إنني مسرورة لتمكني من اسداء خدمة لك. والآن، ما الذي بإمكاني أن أقوم به لأجلك؟»

فأجاب: «إنه أمر بسيط جداً. أريدك أن تخبريني كيف تعرفت إلى إيفا هيلينغتون؟»

فنظرت ليونايد إليه وكأنها تحاول قراءة أفكاره.

ثم قالت بفطنة: «أتظن أن تشارلس وإيفا قد كذبا عليك؟ إن الأمر، في الواقع، بسيط للغاية.»

فقال متوسلاً: «إذن، أرجوك أن تخبريني بالحقيقة.»

فقالت: «السيد ريتشارد هيلينغتون، والذي كان صديقاً قديماً لي، سقط منه سهواً زر ياقة سترته المرصع، وذلك حين انهار مصاباً بنوبة قلبية. وبعد أن دفن، جاءت ابنته تسألني إن كان الزر ذاك قد سقط عندي.»

فسألها: «زر ياقة سترة أبيها؟ إذن، فهذا هو سبب تعارفكما؟»

فتابعت تقول: «وأثناء وجودها عندي، وصل أخوك بعد أن كان علم لتوّه بنيّة جيرار كارلو في جعله صهراً له.»

وألقت ليونايد بيديها بحركة مسرحية معبرة: «ومنذ تلك اللحظة، أخذت العجلات تدور.»

فضحك الدوق، ثم قال: «وطبعاً، كانت الفكرة في أن تصبح إيفا خطيبة لتشارلس، هي فكرتك... لطالما سمعت بأنك أذكى امرأة في باريس.»

فقالت: «هذا ما أحب أن أصدقه. والآن، أخبرني عما حدث لأخيك، وطبعاً، لإيفا؟»

فأجاب الدوق: «لقد أعدت تشارلس إلى انكلترا. وأحد أسباب زيارتي لك هو أنه طلب مني أن أقدم هدية لك. فجئت لأسألك ما الذي لا تملكينه فاشتريه لك.»

فضحكت ليونايد: «هذا سؤال سهل عندما أتلقاه من رجل إنكليزي.»

وأثناء كلامها كانت تنظر إلى الدوق وهي تبتسم، فسألها: «حسناً؟ ما هو؟»

فأجابت: «وماذا يمكن أن يكون سوى حصان؟»

فقال باسماً: «حسن جداً. ستحصلين على حصان



تشعرين بالزهو لركوبه، وسأتدبر أمر إرساله إليك في أسرع وقت ممكن.»

فقالت: «أشكرك يا سيدي. إنك في غاية اللطف.»

قال: «يجب أن تشكري أخي عندما ترينه. فهذه الهدية منه وليس مني.»

قالت: «والآن، أرجو المعذرة إذا أنا صعدت إلى غرفتي للراحة. فأنا أنتظر زيارة من بعض الأصدقاء.»

فنهض الدوق وهو يقول: «دعيني أشكرك مرة أخرى. وأنا أعلم أنك، بصفتك امرأة حكيمة، لن تتحدث بهذا الأمر إلى أي إنسان.»

فأجابت: «إنني لن أفعل شيئاً قد يضرّ بأخيك والذي أنا احترمه كثيراً، أو بإيفا التي كنت سبق وأوصيتها بالاّ تخبر أحداً أبداً بأنها تعرفني أو قابلتني في يوم من الأيام.»

فقال وهو يصافحها مودعاً: «ليس لي إلا أن أقول مرة أخرى، إنك امرأة بالغة الحكمة. وسيكون لك حصان ستبدين على صهوته ملكة باريس، وأنت كذلك فعلاً، دون شك.»

ترك الدوق ليونايد متجهاً بالعربة إلى منزل الكونت وما أن دخل الردهة، حتى أدرك أن مضيفه قد عاد.

وعندما دخل عليه في مكتبه، وجده وحده.

وبادره الكونت قائلاً: «مرحباً، كيف حال الامبراطور؟»

فأجاب الدوق: «سيء الصحة ويتملكه الاكتئاب.»

«أتعني أن البروسيين يضايقونه أكثر من المعتاد؟»

فجلس الدوق على كرسي ذي ذراعين وهو يقول: «إذا

www.rewity.com

شئت رأيي، فإن الفرنسيين يسيرون نحو فخ منصوب، وإذا لم يتوخوا الحكمة في تصرفاتهم أكثر مما يفعلون الآن، فسرعان ما يجدون أنفسهم في مواجهة مع البروسيين ستكون وخيمة العاقبة.»

فقال الكونت: «إنني أوافقك كلياً على ما تقوله. إنها ستكون كارثة حقيقية. هل أخبرت الامبراطور بذلك؟»

«لقد أوجد الامبراطور عندي انطباعاً بأنه تلقى النصائح من أناس كثيرين، ولكن الامبراطورة كانت تضغط عليه، تدفعه إلى مواجهة مع دولة طالما كرهتها.»

فقال الكونت وقد تملكه غضب بالغ: «لا ينبغي للنساء أن يتدخلن في السياسة أو في الشؤون الدولية.»

فتابع الدوق يقول: «وفي نفس الوقت، هنالك عدد كبير من الفرنسيين يظنون أنه يكفي أن يدخلوا المعركة وهم يلوّحون بالأعلام وينفخون الأبواق، لكي ينتصروا، لا لشيء إلا لأنهم فرنسيون.»

فأجاب الكونت: «إنني أعرف بالضبط ما تعنيه بقولك هذا، ولا بد للبعض من أن يقوم بشيء ما قبل فوات الأوان.»

فقال الدوق: «هذا هو رأيي تماماً.»

وأخذا يتحدثان إلى أن قال الكونت ان عليه أن يغيّر ملابسه للعشاء والذي كان سبب قدومه إلى باريس قائلاً للدوق: «إنني سأتناول العشاء مع الأمير نابوليون هذه الليلة. إنه ما انفك يحذّر منذ سنوات باننا نتصرف تبعاً لمصلحة العدوّ، ولكن لم يستمع إليه أحد.»



وعندما صعد الدوق إلى غرفته ليغيّر ثيابه، كان يبدو في منتهى الجدّ.

كان يعلم أن البروسيين يحشدون على حدود فرنسا جيشاً كبيراً حسن التدريب للغاية.

بينما لن يكون في وسع الفرنسيين المقاومة طويلاً وهم مشغولون بحياة الترف والتسلية.

وحدث الدوق نفسه بقوله، إذا انهزم الفرنسيون فقد يحاصر البروسيون باريس.

وبدا هذا له بعيد الاحتمال.

ولكن البلدين لم يكن بينهما انسجام قط.

وكان الدوق يعلم أن رجال السياسة في كل من البلدين لا ينفكون عن تبادل الشتائم والإهانات سراً وعلانية.

كان يفكر في مبلغ البهجة التي سيشعر بها البروسيون إذ يذلّون الفرنسيين.

كما كان يعلم كم سيتعذب أهالي باريس، إذا حدث هذا.

وما لبث أن حدّث نفسه بأن لا فائدة من القلق بشأن شعب آخر، ومن حسن الحظ أن القنال يفصل بينهم وبين أوروبا.

• • •

كانت بانتظاره إحدى عربات الكونت المريحة، فاستقلها متجهاً بها إلى شارع سانت أونور مشوقاً لرؤية إيفا مرة أخرى.

فقد كانت تبدو له بالغة الحلاوة في تصرفاتها غير العادية.

إن بإمكانه أن يفهم الآن أن بشرتها الناصعة وشعرها الذهبي قد ورثتهما عن أبيها.

كما أن عينيها القاتمتين قد أورثتها إياهما أمها.

لقد رأى قسماتها الناعمة في وجوه أولاد الكونت عندما كان في القصر.

وفكر في غفلته إذ لم يلحظ الشبه الكبير بين إيفا وابنة الكونت الصغرى التي تبلغ السابعة عشرة من عمرها.

ولكن إيفا كانت تمتاز بشخصية تنبض بالحيوية شعر بها منذ اللحظة التي رآها فيها.

أما الشيء الذي لم يفهمه، فهو خوفها منه.

لقد كان ظن في البداية بأن السبب هو أنه لم يخبروه بخطبتها لتشارلس.

ثم استمرت في تجنبه حتى انها هربت منه عندما وجدها في غرفة المكتبة.

وما لبث أن أدرك أن الأمر أعمق من هذا. إنه يعلم الآن أن ذلك كان خوفاً.

كان خوفاً يختلف تماماً عن ذلك الرعب الذي أثاره فيها الماركيز.

كان يعلم بأن إيفا، رغم مقاومتها ذلك الرجل، لم تكن تدرك تماماً ما كان يريده منها، وأن وصوله في الوقت المناسب، كان حظاً رائعاً لها، ذلك أنه تمكن من إنقاذها من تجربة كان ممكناً أن تترك في نفسها أثراً يدوم العمر كله.

وحدث نفسه بجزم، يجب أن أتكلم معها عن المستقبل.

وخرج من العربة إلى حيث كان هنري يقف ممسكاً بالباب المفتوح.



لقد كان متشوقاً إلى مساء يمضيه مع مشاعر في قلبه في غاية الغرابة.

• • •

كانت إيفا تنتظر الدوق في الصالون.

وعندما أدخله هنري، رآها تقفز واقفة، ثم تتقدم منه خطوة وكأنها أرادت أن تركض نحوه.

ثم، وكأنها راجعت نفسها، سارت نحوه ببطء إلى أن اجتمعا في وسط الغرفة.

ثم حيته بهدوء.

ورآها غاية في الجمال.

ولم ينتبه إلى أنها عادت مرة أخرى ترتدي أحد أثواب أمها والذي كان قد أعجب جوسيه إذ لم يكن بحاجة إلى أي إصلاح.

وكانت قد أخذته معها إلى القصر احتياطاً فيما لو شاءت قضاء ليلة أخرى.

وقد بدت به الآن من الأناقة ما يكفي لتحضر به مناسبة أكثر أهمية من ذلك المطعم الهادىء الذي سيأخذها إليه.

سألها: «هل تشعرين بتحسن؟»

فرفعت إليه عينين لامعتين وهي تقول: «لقد نمت إلى أن أيقظني هنري، والآن علي أن أعتذر لما بدر مني من تصرف... غبي.»

«إنك لم تكوني غبية، بل تصرفت بطريقة مفهومة بالنسبة لما حدث.»

فقد كانت المقاعد مريحة، كما أن الشموع كانت فوق الموائد تضيئها. أما الأزهار فقد كانت في كل مكان. ولم تكن هناك موسيقى.

نظرت إيفا حولها، وبلهجة صبيانية قالت وهي تنزع قفازيها:

«ما أجمل... أن أكون هنا... معك.»

قالت ذلك وهي تنظر إلى الدوق، وعندما تلاقت أعينهما، لم تستطع تحويل نظراتها.



## الفصل السابع

إستغرق اختيار الدوق للطعام، وقتاً طويلاً.

وعندما تركهما النادل، استقام في جلسته ثم قال: «ساكون مهملاً للغاية إذا لم اخبرك كم تبدين جميلة.»

فاحمر وجهها. وكان هذا شيئاً من الخجل لم يعد يشاهده منذ وقت طويل.

كان الطعام لذيذاً، وكانت إيفا تعلم أن أباها لو كان موجوداً لأعجبه كثيراً.

وعندما أخذا يحتسيان القهوة، قالت إيفا: «سأتذكر هذا العشاء على الدوام، وكذلك هذا المكان الجميل الذي أحضرتني إليه.»

كانت تتكلم بنفس ذلك الصوت الخافت الذاهل الذي كان يسمعه منها كلما رأت في القصر شيئاً بالغ الجمال.

كان يعلم أنها تتكلم بإخلاص نابع من القلب فقال: «إنني أريدك أن تتذكري هذا. والآن، يا إيفا، أريد أن اتحدث إليك عن نفسك.»

فنظرت إليه بتوجس.

وساد صمت رأت هي معه أنه كان يختار كلماته بعناية.

ثم قال: «هل أنت واثقة من انك اتبعت الحكمة في اختيار العيش في فرنسا بدلاً من انكلترا؟»

فاجابت: «أنا... أنا واثقة من أنني ساكون سعيدة في القصر حيث نشأت أمي.»

ونظرت إلى الدوق، وخيل إليها أنه قلق، وبعد لحظة، قال: «أشعر بأن من الخطأ أن تعيشي في فرنسا بينما أبوك انكليزي.»

فسألته: «لماذا؟»

فأجاب: «حسناً، هنالك شيئان يقلقانني.»

«وما هما؟»

«الأول هو أنني واثق من أن مواجهة ستحدث بين فرنسا والمانيا في خلال سنة.»

فسألته ذاهلة: «هل تعني بذلك... الحرب؟»

فأجاب: «أظن لا مناص منها.»

فصرخت: «لا استطيع تصديق ذلك. ان كل شخص في فرنسا يبدو سعيداً، فلماذا عليهم أن يحاربوا الألمان؟»

فقال: «انها قصة طويلة، ولكنني كنت مع الامبراطور هذا النهار، وأنا واثق من أن الامبراطورة والدوق دي غرامونت يضغطان عليه لدفعه إلى اعلان الحرب.»

فقالت: «لقد كنت سمعت أبي يتحدث عن ذلك. ولكنني لا استطيع التصديق بأنهم يقدمون مثل هذه التضحيات في حين يتمتعون بالرفاهية والسعادة.»

فقال بصوت خافت: «انها سعادة باريس.»

كان يفكر وهو يقول هذا بالتبذير الجنوني للفنانات امثال ليونايد ليبلان والمبالغ الباهظة التي ينفقها الناس لحضورهن.

كانت إيفا ماتزال تنظر إليه بقلق، حين قال: «إذا حدثت الحرب، والتي ستكون بين الجيش البروسي والجيش



الفرنسي الذي لا يماثله تجهيزاً ومعدات، فأنا أريدك أن تكوني في مكان آمن.»

فسألته: «مكان آمن؟ ولكنني ساكون في قصر خالي.»

فقال: «ولكنه لا يبعد عن باريس اكثر من خمسة وعشرين ميلاً.»

ساد الصمت، ثم سألته: «هل تظن أن البروسيين قد يصلون إلى باريس ويحتلونها؟»

فقال: «أظنهم قد يحاصرونها.»

همست: «لا أستطيع تصديق ذلك.»

فأخذ الدوق رشفة من قهوته قبل أن يجيب قائلاً: «هنالك شيء آخر لا أظنك فكرت فيه حين قررت البقاء هنا.»

«وما هو؟»

«قد يشعر خالك، بصفته فرنسياً، بأن من واجبه ان يختار لك زوجاً بنفسه.»

فاعتدلت إيفا في كرسيها، وسألته: «أتعني أنني سأدفع إلى زواج مدبر كذلك الذي... هربت منه أمي؟»

فأجاب الدوق بهدوء: «ان خالك سيظن أنه في مصلحتك، وكما تعلمين، لم ترض الأسرة بكاملها عن أمك لأنها تزوجت الرجل الذي تحب.»

فشبكت إيفا يديها معاً، وقالت: «أنا لم... أفكر في هذا قط... كم كنت حمقاء إذ لم اتذكر... ذلك.»

وتنهدت بعمق: «معك حق... علي أن أعود إلى انكلترا.»

فقال الدوق: «هذا ما رجوت منك قوله، وأنا أعرف أنك لن تندمي على هذا.»

فقالت بصوت كالهمس: «ان اكثر أقرباء أبي طاعنون في السن... وسيستمرون في الحديث... عنه... دون توقف. أشعر بأن ليس في امكاني احتمال ذلك... حالياً.»

فقال الدوق: «إنني افهم طبيعة شعورك، وإذا تركت الأمر إلي، فانا ساجد لك من تقيمين معهم عند وصولك... وهم ستسعدهم استضافتك إلى أن تجدي مكاناً تحبين العيش فيه حقاً.»

فسألته: «هل بإمكانك ذلك حقاً؟ هذا سيكون منتهى الشهامة... منك، ولكنني... لا أحب أن اكون عبئاً ثقيلاً... عليك.»

قال: «اؤكد لك انك لن تكوني كذلك. الآن، حيث انك أمضيت يوماً مرهقاً، فساعيدك إلى منزلك.»

وعندما رأى خيبة الأمل ترتسم على ملامحها، أضاف قائلاً: «أنا باقٍ في باريس إلى بعد غد، سأتناول الغداء مع خالك حيث أخبره بتغيير رأيك، ثم ربما تمنحينني شرف قبول دعوتي للعشاء مرة أخرى.»

هتفت: «طبعاً، فهذا شيء... رائع بالنسبة إلي.»

عادت عيناها تتألقان بعد أن كانتا قاتمتين بينما تابع الدوق يقول: «وفي اليوم التالي ساعيدك إلى انكلترا، وإلى ذلك الحين إياك أن تقومي بأي عمل أحمق كان تسيري في الشوارع وحدك.»

فتذكرت إيفا كيف رآها الماركيز حين ذهبت بمفردها لزيارة ليونايد ليلان.

ارتجفت للذكرى، وأدرك الدوق ما كانت تفكر فيه، فقال: «سامحيه.»



فأجابت: «سأحاول... سأحاول ذلك، ولكن، عندما أخبرتني بأن خالي سيقرر زواجي... فكرت في أنه قد يختار لي... زوجاً... كالماركيز.»

فقال: «ليس كل الفرنسيين كريهين مثله، وتذكري انه ما كان ليعاملك بهذا الشكل لو أنه كان يعرف شخصية أبيك.»

وسكت قليلاً ثم قال بصوت عميق حازم: «الكذب هو دائماً اكبر خطأ.»

فقالت بمذلة: «إنني... أعلم ذلك، ولو كانت أمي موجودة لشعرت... بالعار بسببي.»

طلب الدوق قائمة الحساب، ثم تركا المطعم، وفي الخارج، كانت العربة تنتظرهما، وكان الطريق إلى منزلها قصيراً.

بقيت إيفا صامتة.

وكان الدوق ينظر إلى جانب وجهها وهو يفكر في مبلغ جمالها.

وساءل نفسه، كيف بإمكانها رعاية نفسها بينما كل رجل يراها يتمنى الزواج منها لجمالها الرائع هذا؟ وكان يعلم، بخبرته، أن النظرات إليها لم تكن لجمالها فقط، وإنما لهالة البراءة والنقاء التي تحيط بها والتي لاحظتها ليونايد ليلان.

عندما وقفت بهما العربة أمام منزلها، قالت إيفا بصوت خافت يملؤه الخوف: «إفرض أنه... كان قد دخل منزلي... أثناء غيابي.»

ورأى الدوق يديها ترتجفان وقد عاودها الرعب فقال برفق: «سأتأكد من أنه لم يحضر.»

www.rewity.com

وطلب من العربة أن تنتظر، وعندما فتح هنري الباب، دخل إلى البيت مع إيفا حيث دخلا إلى الصالون الذي كان لا يزال مضاءاً ببعض الشموع.

وأثناء ذلك، سمعا هنري يغلق الباب الأمامي ثم يعود إلى المطبخ.

فنظرت إلى الدوق وكأنها تنتظر منه أن يأخذ بزمام المبادرة.

ابتسم لها قائلاً: «والآن، سنفتش البيت معاً، وذلك لكي تتمكني من النوم دون خوف.»

فابتسمت له بخجل، وكما لو كانت طفلة، سارت معه يفتشان أولاً الصالون.

نظر خلف الستائر والستار الجميل الذي كان يقف في الزاوية.

ثم خرجا إلى غرفة الطعام، والتي كانت جميلة صغيرة الحجم، قامت في وسطها مائدة رخامية أدرك الدوق بأن طرازها يعود إلى القرن السابع عشر.

ومرة أخرى، نظر خلف الستائر حتى انه انحنى ينظر تحت المائدة.

ثم صعدا السلم إلى الطابق الأول، والذي كان مظلماً تماماً إلا من ضوء خافت كان يصعد من المصباح الذي يضيء الردهة أسفل.

فشعر الدوق بخوف إيفا. إتجه نحو الباب الأول، والذي كان باب غرفتها الخاصة، ثم فتحه.

وما أن فعل ذلك حتى سمع صوت ارتطام، وصرخت إيفا وقد تملكها الرعب.



على ضوء شمعة كانت لجانب السرير، رأى أن ذلك الصوت أحدثه تيار الهواء الذي اندفع بين الباب والنافذة فنفخ في الستارة التي أوقعت زهرية كانت قائمة على منضدة قريبة.

وكانت الستارة مازالت منتفخة، ولكنه كان واثقاً من أنه لا يوجد أحد خلفها.

ولكن إيفا كانت ماتزال مذعورة، فقال يهدىء من روعها: «كل شيء على مايرام.»

فتمتمت هامسة: «إنه هو... انه... هو، أنقذني. أنقذني مرة أخرى.»

ونظرت إليه ضارعة.

لم ير الدوق قط من قبل، شخصاً مذعوراً بهذا الشكل.

فقال: «سأنقذك، يا حبيبتي.»

مضت لحظة لم تستطع إيفا أثناءها، تصديق ذلك. لقد قال لها يا حبيبتي، وإذا بخوفها ذاك يتلاشى.

ذلك أن شيئاً، شيئاً رائعاً لا يصدق، كان يحدث لها.

لقد شعرت كأن أبواب السعادة فتحت أمامها، لتحلق بين النجوم.

قال لها بصوت مضطرب قليلاً: «انك في أمان تماماً، يا غاليتي، ولن أدع شخصاً يضرك أبداً.»

فهمست وقد عاد إلى صوتها ذلك الذهول: «أنا... أحبك.»

قال: «وأنا أيضاً أحبك، لقد احببتك منذ وقت طويل.»

«منذ... وقت... طويل؟»

«منذ رأيتك أول مرة، ولكنني ظننتك خطيبة أخي.»

فهمست: «وأنا ظننتك غير راض... عني.»

«لقد كنت غير راضٍ بزواجك من أخي لأنني كنت أريدك لي. لماذا عذبتني، يا عزيزتي، بجعلي أظن انك ستتزوجين أخي، بينما أنا أريدك زوجة لي؟»

فأطلقت صرخة قصيرة بدت كأغنية الطيور، ثم قالت هامسة: «هل أنت... هل أنت تطلب مني... الزواج منك؟»

فابتسم: «وكيف يمكنني، بغير هذا، أن أرعاك وأحميك إذن؟ إنك أجمل من أن نتركي وحدك لحظة.»

«إنني أحبك... من كل قلبي، ولكنني لم أكن أدرك أن... هذا هو الحب.»

فقال: «لم أكن أريد أن اخبرك عن حبي لك قبل أن نتعارف جيداً، وأعيدك إلى انكلترا.»

فقالت: «لقد عرفت الآن لماذا... أردتني أن اعود إلى انكلترا.»

«كان هذا هو السبب الرئيسي لذلك، اما السببان الآخران اللذان أخبرتك بهما، عن الحرب وعن كونك مواطنة فرنسية فهما صحيحان تماماً.»

قالت بحماس: «بل أريد أن أبقى انكليزية وأبقى معك على الدوام.»

فقال: «وهذا ما سيكون، وإذا كان حبك لي كافياً، يا حبيبتي، فسيمكننا الزواج قبل عودتنا إلى انكلترا.»

فقالت: «إني أحبك لدرجة انني... أريد أن أتزوجك... الآن... في هذه اللحظة.»

ضحك وقال: «هذا صعب بعض الشيء ولكنني ساحاول تدبير ذلك غداً، أو ربما بعد غد.»



قالت: «هل أنت واثق... تماماً من أنك... تريد أن... تتزوجني؟»

فقال: «لم يحدث قط أن فكرت في الزواج من قبل، وفي الواقع، كل شخص يعتقد بأنني أعزب ثابت على مبدإي.»

ساد صمت قالت بعده: «إفرض أنك بعد أن تزوجتني... ندمت على ذلك... وفكرت في انك ارتكبت خطأ.»

فابتسم الدوق: «انك تملكين كل الصفات التي كنت دوماً انشدها في زوجتي، وأنا أحب كل ما يتعلق بك. ثم انني أريد أن اعلم عنك اكثر من ذلك.»

نظرت إليه برزانة: «هل تعدني بأن... تعلمني بكل ما تريدني أن أفعل؟»

فقال: «اعدك، ولكنني أريدك أن تكوني كما أنت فقط، بشخصيتك الحقيقية.»

قالت: «كم أشعر بالخجل الآن... لأنني كذبت.»

ولكن الدوق كان يعلم بأنها لم تقع في المتاعب لأنها كذبت، بل لأنها تورطت مع ليونايد ليبلان.

ولكن، لو أنها لم تذهب إليها العثور على زر ياقة أبيها، لما عرفها قط.

قال: «كل ما علينا ان نتذكره هو أننا عثرنا على بعضنا البعض، وأننا سنكون في المستقبل في غاية السعادة.»

سألته: «ألا تظن... أن زواجك من فتاة مثلي... لا أهمية لها... سيكون صدمة لعائلتك؟»

فقال: «أظن أن كثيرين منهم يعرفون أباك... ولا بد أنه فتنهم كما فتن كل من عرفه.»

فقالت: «هذا ما أريد... سماعه منك، وربما سأتمكن... من جعلهم... يفتتنون بي، أنا أيضاً.»

فقال: «أنا واثق تماماً من ذلك، تماماً كما سبق وفتنتني. إني أريد أن أبقى هنا، يا عزيزتي، ولكن عليك أن تنامي.»

وكانت، لشدة سعادتها، نسيت كل شيء عن أن الماركيز قد يكون مختبئاً في مكان ما، ولكنها عندما نظرت حولها، قال الدوق: «سنتابع تفتيش البيت. فاشعلي بعض الشموع ريثما أغلق أنا النوافذ.»

فامتثلت لما طلبه منها، ما جعل الشموع تدفىء الغرفة وتجعلها اكثر تألقاً.

أقفل الدوق النافذة، ولكنه قبل ذلك، أخذ ينظر إلى الخارج.

كان هناك منحدر رأسي إلى الحديقة الصغيرة. بحيث كان من المستحيل أن يتمكن أحد من التسلق إلى النافذة إلا إذا استعمل سلماً طويلاً جداً.

لم يقل شيئاً، بل جذب الستائر إلى مكانها، ثم رفع الزهرية التي كانت ملقاة على الأرض، ثم عاد إلى إيفا وخرج بها إلى الممر.

فتشا غرفتي النوم الباقيتين واللتين كانتا أصغر من تلك التي تنام فيها إيفا.

ولم يجدا أحداً فيهما، وعندما خرجا منهما، أقفل الدوق بابيهما من الخارج ثم ناول إيفا المفتاحين وهو يقول: «والآن عليك أن تقفلي عليك باب غرفتك من الداخل، وسأخبر خادمك بالاّ يسمح لأحد مطلقاً بالدخول إلى أن أحضر أنا في الصباح.»



«ألن... تنساني؟»

«هذا غير ممكن.»

وسكت لحظة، ثم عاد يقول: «ولكي أهوّن الأمر عليك، يا حلوتي، فسأخبر خالك أثناء تناولنا طعام الإفطار صباح الغد، بأننا سنتزوج.»

وسكت وهو ينظر إليها بحنان، ثم تابع يقول: «ومن ثم، لن يكون هناك ضرورة لتناولك الغداء معه كما كان رتب الأمر من قبل.»

فقالت: «وهل ستخبره كم أنا شاكرة له شهامته؟»

فقال: «سأفعل ذلك طبعاً، ولكن بما أنني لا أريد مفارقتك لحظة، فسنتناول الغداء بهدوء حيث سيكون لديّ ما سأخبرك به عن كيفية زواجنا.»

فأخذت إيفا تتمتم مبتهجة.

فقال: «والآن، ادخلي إلى غرفتك، ودعيني اسمعك تقفلين الباب، ثم حاولي أن تنامي.»

قالت له: «أراك غداً. والآن تصبح على خير.»

ثم دخلت غرفتها واغلقت الباب خلفها.

وعندما سمعها تقفله بالمفتاح، استدار يهبط السلم إلى الطابق الأسفل حيث ألقى تعليماته إلى هنري، ثم منحه شيئاً من النقود لسهره لأجلهما، ولم يتحرك بالعربة مبتعداً إلا بعد أن سمع الباب يقفل بالقفل الكبير.

أعادته العربة إلى منزل الكونت في الغابة. كان يعلم أنه سيكرس حياته لحماية إيفا وغمرها بالحب، ولم يكن هذا الشعور قد تملكه نحو امرأة أخرى قط من قبل.

فقد كان يعلم مقدار عجزها الكلي من دونه، وان ثمة متاعب هائلة قد توقع نفسها فيها، ليس في فرنسا فقط، بل في انكلترا أيضاً. وحدث نفسه قائلاً: «إنها بحاجة إليّ، وهي من احتاجها، ولكنني لم أدرك ذلك حتى الآن.»

• • •

عندما نزل الدوق لتناول طعام الافطار، كان الكونت قد سبقه في الجلوس إلى المائدة وقد نشر امامه الصحيفة، فبادره قائلاً: «لقد ابتدأت الصحف تثير الشغب في الرأي العام ضد البروسيين، وكل ما أرجوه هو أن لا يفرطوا في ذلك.»

لم يجب الدوق، فقد سبق وحدث الكونت عن شعوره بما سيحدث، ولكنه علم بأن هذا لم يصدقه ولهذا، غير الموضوع، مخبراً الكونت بأنه سيتزوج إيفا.

وتملك الكونت ذهول بالغ، وقال له: «لم تكن لدي فكرة عن ذلك، لم يخطر ببالي لحظة أنك كنت مهتماً بها.»

فابتسم الدوق: «إنني أراها في منتهى الروعة.»

«إنني من رأيك، ويسرني طبعاً أن يتزوج ابنة أختي أحد أهم أصدقائي مركزاً وأهمية.»

فقال الدوق: «لقد رجوت أن يكون هذا شعورك. والآن، أنا بحاجة إلى العون منك.»

وهكذا، كما توقع الدوق، قد يسر الكونت أمامه وايفا، كل ما يساعد على أن يكون زواجهما سرياً.



لقد قال له: «إذا سمعت السفارة الانكليزية بخبر هذا الزواج، فسرعان ما ستذيع النبأ كل الصحف في انكلترا.»

فقال الدوق موافقاً: «هذا ما فكرت فيه، وعلى كل حال فإن إيفا، كما تعلم، ستكون عرضة للإنتقاد لزواجها قبل أن تنتهي مدة الحداد، وستكثر التخمينات عن سبب الإسراع بهذا الزواج.»

ولم يعد ثمة حاجة بالرجلين للحديث بعد هذا، فقد كانا، هما الاثنان، يدركان ما سينتشر من لغط واغتياب بشأن هذا الأمر.

وهكذا وضع الرجلان خطة وجداها متكاملة، وما لبث الدوق أن استعار إحدى عربات الكونت وسار بها متجهاً نحو منزل إيفا، وكانت في انتظاره في الصالون وقد ارتدت أحد اجمل أثوابها.

وعندما دخل الغرفة، تقدمت منه.

قال: «دعيني أنظر إليك، يا حبيبتي. هل نمت جيداً؟»

«لقد نمت... وحلمت... بك.»

فقال: «وكذلك أنا حلمت بك.» ثم اتجه نحو الأريكة وهو يقول: «إن لديّ الكثير لأخبرك به.»

فأجابت: «وهو ما أنا متشوقة لسماعه.»

ابتدأ قائلاً: «أولاً، أخبريني بأنك لم تغيري رأيك.»

فضحكت، وكانت ضحكة بالغة العذوبة، وهي تقول: «أخشى... أن تكون أنت الذي غيرت رأيك.»

فقال: «هذا هو الغير ممكن بعينه. إنما عليك الآن أن تسمعي ما خططته.»

«لا أظنك ستعيدني... إلى انكلترا من دونك.»

«هل تظنين حقاً انني ساقوم بشيء كهذا؟»

أجابت: «كنت فقط خائفة... من أن تظن... أن هذا ما ينبغي عمله.»

فقال: «إن ما سنقوم به هو كل شيء يظن الآخرون أنه خطأ، بينما بالنسبة إلينا، هو الصواب.»

فشبكت يديها ببعضهما وهي تهمس قائلة: «هل سنتزوج؟»

فقال: «نعم، وسيكون الزواج سرياً فلا يعلم به أحد قبل وقت طويل.»

«اخبرني، أرجوك... اخبرني.»

فأجاب: «لقد خططت مع خالك لكل شيء، وبالمناسبة، لقد سر كثيراً لأنك ستتزوجينني.»

«هل أنت واثق من... أنه ليس... غاضباً؟»

فقال باسماً: «إنه ليس غاضباً على الاطلاق، بل بالعكس هو مسرور جداً لدخول دوق انكليزي في أسرته.»

فضحكت، واستمر الدوق يقول: «إن خطتنا هي أن نتزوج. وحيث أن لخالك نفوذاً كبيراً، فالمحافظ لن يعلن هذا الزواج، وكل شيء سيبقى سراً إلى أن نرسل نحن خبراً عن زواجنا إلى الصحف الانكليزية، وهذا المساء سيزورك خالك عند الساعة السادسة ليأخذك إلى منزل أحد اصدقائه حيث يعقد زواجنا فيه رجل دين يعرفه خالك جيداً، والذي طبعاً، لن يكشف سرنا.»

قالت: «إنني سافعل دوماً... كل ما تشاء، لقد قالت أمي مرة... الحب هو اكثر أهمية من أي شيء آخر.»



فقال الدوق: «هذا صحيح طبعاً، فالحب الذي يربط بيننا، يا من ستكون زوجتي الصغيرة الرائعة الجمال، هذا الحب هو هدية وعطاء.»

كان يتكلم برزانة بالغة، فقالت إيفا: «إن أفكارك ومعتقداتك، هي نفسها افكاري ومعتقداتي، لم أكن أظن مطلقاً أنني سأجد رجلاً بهذا الشكل.»

فقال: «وها قد وجدتني الآن، وبعد أن نتزوج سنصبح شخصاً واحداً.»

فقالت: «ما أروع أن اكون جزءاً منك، وسأتذكر دوماً أنك الجزء الأكثر أهمية.»

فقال باسماً: «هذا طبعاً، ما أريدك أن تفكري فيه، ولكن لا شيء في العالم اكثر أهمية عندي منك.»

تناولا غداء هادئاً معاً حيث أخذا يتحدثان عن نفسيهما.

وعندما عادت إيفا إلى منزلها، أخبرت هنري وماري بانها ستتزوج.

لقد تاثرا جداً وكان سرورهما بالغاً، ووعدا بأن يحتفظا بالأمر سراً.

قالت: «إنني وزوجي سننام هنا هذه الليلة، ولكننا غداً سنذهب إلى البندقية، ومن بعدها إلى روما ونابولي حيث سيتساجر زوجي يختاً نطوف به بلدان البحر المتوسط كافة.»

كانت تتكلم وهي تفكر في روعة حياتها الزوجية مع الدوق.

لقد أرادت كذلك أن ترى كل البلدان التي كانت قرأت عنها والتي كانت تظن أنه لن تسنح لها فرصة أبداً لزيارتها.

www.rewity.com

ولكنها عادت ففكرت في أن أهم من ذلك كله، هو وجودها معه.

لقد قال لها الدوق: «سنحظى، يا غاليتي بشهر عسل طويل جداً، وقبل أن نعود إلى انكلترا بالضبط، سنعلن زواجنا دون ذكر ليوم حدوثه.»

وابتسم، ثم تابع يقول: «عند ذلك سيكون بإمكانك العودة إلى انكلترا بغير ملابس الحداد، وهكذا لن ينتقدك أحد قائلاً، إنه كان عليك أن تنتظري مدة أطول قبل أن تتزوجي.»

فقالت: «إنني أعلم أن أبي... يريدني أن أتزوجك... إن له نفس طريقتك في التفكير.»

فأجاب الدوق: «أنا واثق من هذا، وأنا أعرف أن أباك يريدني أن أرعاك.»

فقالت: «سأشعر الآن بالأمان معك... ولن أخاف أبداً بعد الآن.»

فقال بحزم: «أبداً.»

• • •

عندما تركها الدوق في المنزل، قالت لهنري وزوجته، تبعاً لإرشاداته، أنها ستزيد أجرهما.

كانت مهمتهما العناية بكل شيء في المنزل فهي ستأتي إلى باريس كلما استطاعت.

وعندما صعدت إلى غرفتها وهي تتساءل أي ثوب تلبس، عند ذلك وصل إلى المنزل صندوق حمله الخادم إليها.



وكان يحتوي على ثوب زفاف رائع الجمال من تصميم فريدريك وورث.

وكان من الروعة بحيث لم تصدق بأنه لأجلها حقاً.

وعندما ارتدته، اعترفت ماري بأن الدوق كان قد أخذ منها أحد أثوابها، وكان هذا ما جعله يعرف قياسها بالضبط.

كان القسم الأعلى منه من التول الفضي المزين بحبيبات الماس ما جعل الثوب من الجمال بحيث خشيت إيفا من ارتدائه.

وعندما ارتدته، كان هناك نقاب شفاف يغطي الرأس مثبتاً بإكليل من زهور البرتقال.

وعندما نظرت إلى نفسها في المرآة، أدركت أن كل ما كانت تريده هو أن يعجب بها الدوق.

كما كانت تدرك أيضاً أن هذا الاحتفال، رغم سريته وهدوئه، هو حدث لا ينبغي لواحد منهما أن ينساه طوال الحياة.

وركبت العربة مع خالها إلى منزل كبير فخم في شارع الاليزيه.

بدا الدوق في بذلة المساء، وقد وضع أوسمته على صدره كما هي العادة في فرنسا، بدا بالغ الوسامة.

وقادها خالها من ذراعها إلى حيث يجلس الدوق.

بعد أن تم عقد الزفاف، وافق الدوق على أن يعودا مع خالها إلى منزله، ذلك أنه كان يعلم أن هذا يسره.

وهناك، أخذ الكونت يكرر مرة بعد أخرى كم هو مسرور لأن ابنة أخته أصبحت الدوقة أوف كينكريغ.

قال الكونت لإيفا: «لقد كنت ناوياً البحث عن زوج لك، يا عزيزتي، ولكن، حتى ولو فتشت كل أنحاء فرنسا، لما وجدت لك زوجاً بمثل وسامة الدوق ومركزه المرموق.»

ووضعت إيفا يدها في يد زوجها وهي تتنفس بعمق.

لقد أدركت أنه كان يفكر في أنه كان على صواب حين قال إن خالها لا بد سيفكر في البحث عن زوج ارستقراطي لها، ولكنها نجت من ذلك. وقبل أن يعودا إلى منزلها الصغير، قدم الكونت هدية إلى إيفا، هي عبارة عن مشبك مرصع رائع الجمال من متجر أوسكار مازين المشهور والذي اعتاد أن يصوغ مجوهرات الامبراطورة. وكان الدوق يعلم أنه كان أيضاً يصمم قطع الحلي الرائعة للفنانات.

وانتظر إلى أن أصبحا في المنزل، فقال: «لقد تلقيت هدية زفاف من خالك، يا حبيبتي والآن سأقدم إليك هديتي.»

فصرخت: «ولكن... ليس عندي هدية لك.»

فأجاب: «يمكنك أن تقدمي إليّ هدية هي عندي أحب من كل شيء في العالم. ولكنني سأخبرك عنها فيما بعد.»

ولم تعرف تماماً ماذا يقصد.

ولكن وجهها احمر خجلاً للطريقة التي تكلم بها.

قال: «هنالك مجوهرات رائعة تنتظرك في قصرنا عندما



نصل إلى الوطن، ولكن هذا شيء خاص لك أرجو أن تضعيه على الدوام.»

وأثناء كلامه، كان يخرج من جيبه علبة فتحها فرأت إيفا فيها أروع خاتم رأته في حياتها، وقد صمم على شكل قلب.

كان في الوسط ماسة كبيرة تحيط بها ماسات أصغر حجماً.

وعندما أخذت تتألق في النور، أدركت أن هذا أثمن شيء امتلكته في حياتها.

وكان هو يقول: «إن لديّ آلاف الأشياء أريد أن اقدمها اليك، ولكن سيكون لدينا الوقت أثناء شهر العسل للبحث عن كنوز ستبقى دوماً ذكرى سعادتنا.»

فقالت بهدوء: «ولهذا ستكون نفيسة جداً جداً.» وكان الدوق قد أوصى أن يرسل إليهما عشاء من نفس المطعم الذي كانا تناولا فيه العشاء في الليلة السابقة.

وأعد هنري المائدة يساعده نادل شاب، وأدركت إيفا أنها أنواع الطعام التي كان الدوق قد لاحظ اعجابها بها الليلة الماضية.

ولكن كان من الصعب عليها التفكير في ما تأكله وهي ترى مبلغ وسامته.

ورأت من ملامحه أن افكاره كانت منحصرة فيها، هو أيضاً.

«هل أنت سعيدة؟»

«إلى اقصى حد، إنني من السعادة بحيث لا أصدق أنني مازلت حية... أو أنني لست في حلم...»

فقال: «بل أنت حية تماماً، ونحن سنبقى زمناً طويلاً غارقين في الاحلام، يا حبيبتي.»

فتمتمت تقول: «لشد ما أحبك... أحبك.» وكان هذا شيئاً كان الواحد يقوله للآخر مئات المرات.

تمت

www.rewity.com